ليلة في ڤيينا

"رواية"

أيمن فاروق طه

obeikandl.com

ليلـة في ڤيينا/ رواية
أيمن فاروق طـه / مصـري
الطبعة الأولـى عام 2016
ISBN/ 978-977-6445-95-6
رقم الإيداع: 2016/25289

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.
جمـيع الحقوق محفوظة. لا يـُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه فـي نطاق لاستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذنٍ خطّـي مُـسبَق من الناشـر.

دار الكتب
Daralkotob

تصحـيح لغوي: رشوان أحمد
إخـراج داخلـي: أيمن فخـري
غلاف: NileDesign.com
دار الإبداع للنـشـر والتوزيع
موقع دار الكتب
أبـراج عثمان - كورنـيـش المعادي
القاهـرة - مـصـر
هاتف: 0100-205-2266
E-mail: info@Daralkotob.com
www. Daralkotob.com

daralkotob

obeikandl.com

"ليلة في ڤيينا"

obeikandl.com

obeikandl.com

"إهداء"

إلى كلِّ البشر في كل مكان، إلى كلِّ من ساعدني في عملياتِ المراجعةِ اللغويةِ والتصميمِ والطباعة، إلى كلِّ من سيقرأُ الكتاب ويصبحُ جزءًا منه فكرًا وفكرةً وحدثًا، إليكم جميعًا أهدي هذا الكتاب.

obeikandl.com

obeikandl.com

"تقديم وتعريف"

يعـيش أغلبُنـا حياتَـه بشـكل روتينـي، أيـام متشـابه تتكـرر بانتظام رتيب، أفعال متشابه تتكرر بشـكل اعتـدنا عليـه لدرجـة أننـا أصبحنا نُعرِّف أيامنـا المتكـررة ونَعرفهـا بتلـك الأفعـال المتشـابهة، ثـم فجأة ترسـل لـك السـماءَ في ليلـةِ اسـتثنائية حـدثًا اسـتثنائيًا في شـكل شخصٍ استثنائيٍ يدخل حياتك ويكسر روتينها ويحطم ما بها من رتابة، فماذا أنت فاعل؟

أيمن فاروق طه

2016

Facebook.com/Ayman.Farouk.Taha

obeikandl.com

obeikandl.com

"كلُّ القصصِ والشخصياتِ والأحداثِ الواردة في هذا العملِ الأدبي هي من خيالِ المؤلف وليس لها علاقة بالواقعِ مطلقًا".

obeikandl.com

obeikandl.com

في ليلةٍ ربيعية ساحرة، حيث السماء صافية ونسمات الليل قليلة البرودة تداعب وجهه أثناء سيره بجوار نهر "الدانوب"، ألقى ببصره نحو النهر الهادئ والذي ازداد جمالًا بانعكاس ضوء البدر الساطع عليه. أضاف هدوءُ النهر سكونًا إلى نفسه، وزاد جمالُ النهر مساحة الصفاء داخل روحه. عاد ببصره إلى الطريق حيث يسير، امتزج ضوء القمر بالإضاءة الخافتة للشارع والتي تأتي من مصابيح تقف على عواميد مصنوعة بشكل يحاكي طراز "الباروك" المعماري؛ مما أضاف سحرًا خلابًا على المكان، وتدريجيًا فاض ذلك السحر حتى غمره تمامًا فأحس أنه يسير في مكانٍ ما بين الواقع والخيال.

استمر في رحلته سيرًا على الأقدام بجوار النهر. واصل السير على الطريق المرصوف بالحجارة، حيث كان النهر على أحد جانبي الطريق وبعض الأبنية رائعة الجمال على الجانب الآخر، في حين يظهر اللون الأخضر بوضوح في عدد كبير من الأشجار والنباتات والحدائق والمساحات الخضراء التي تتواجد في كل اتجاه وكل مكانٍ تقريبًا.

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل والمنطقة هادئة ولا تكاد ترى سيارةً تتحرك أو شخصًا يمشي أو مركبًا في النهر يُبحر.

كان قد انعطف يمينًا ليعبُر النهر سيرًا على أحد الجسور، وأخذ يبطئ الخطى تدريجيًا حتى توقَّف تمامًا في منتصف الجسر الذي يربط بين ضفتي النهر، نظر إلى كل ما حوله وتنقَّل بعينيه بين النهر والطرق والجسور والأشجار والحدائق والمباني والبدر والإضاءة، بدا المنظر العام للمكان كأنه لوحة جمالية طبيعية يندر أن تجد لها مثيلًا، ثم داعبه النسيم العليل لهواء نقي يكاد ألا يمتزج بالتلوث الناتج عن مظاهر التقنية الحديثة.

أحس كأن ما حوله من جمال أكبر من طاقة استيعابه وأسمى من قدرته على الرؤية أو الإحساس. أغمض عينيه لعله ينتصر بخياله على هذا الجمال الذي تجاوز طاقته، ثم أبحر بقارب خياله في محيط من أحلامٍ حاول أن يختلقها ويجعلها تتجاوز واقعه؛ إلا أنه بعد دقيقتين أو ثلاثٍ قرر أن يفتح عينيه؛ فلأول مرة في سنوات عمره الخمس والأربعين يكون واقعه أجمل بكثير من خياله. قرر أولًا أن يفتح عينيه ليستمتع برؤية كل تفصيلة من تلك اللوحة التي تأسر الألباب، ثم بعدها قرر أن يتسامى بروحه ويحاول أن يفتح مسامها لكي يتسلل أكبر قدر من ذلك الجمال إلى داخل جدران نفسه لعله ينتشلها مما هي فيه من جمود وقسوة.

وبعد أن فتح عينيه، شاهد ما بدا وكأنه طيفٌ لإنسان في نهاية الجسر، قرر بدافعِ الفضول أن يسير في اتجاه ذلك الطيف؛ حيث لم يكن هناك تقريبًا شخص آخر على مرمى البصر.

سار بخطوات بطيئة في اتجاه الطيف، في حين كان الطيف واقفًا لا يتحرك، وبعد أن اقترب منه قليلًا اكتشف أن ذلك الطيف هو في الواقع امرأة، وكلما اقترب أكثر وجدها تزداد جمالًا. وبعد نحو دقيقتين من السير أصبح على بعد خطوتين منها. لم يصدق ما رأته عيناه؛ رأى امرأة شديدة الجمال والجاذبية والأناقة، للوهلة الأولى بدا وكأن جمالها هو تجسيدٌ نصف بشري ونصف ملائكي لكل ما حوله من جمال، إلا أنه بعد أن دقق النظر اكتشف أن جمالها فاق كل ذلك، وأن الصفاء البادي على وجهها ذي الجمال الهادئ والملامح النورانية قد تجاوز صفاء المكان وربما الزمان أيضًا. بدا وجهها وكأنه يشع نورًا ملائكيًا يطغى في جماله على امتزاج ضوء البدر - بانعاكسه على النهر - مع الإضاءة الخافتة المحيطة بالمكان، في حين كان شعرها الأسود الطويل ينسدل بهدوء على جانبَي وجهها حتى تجاوز كتفيها. كان سواد شعرها هو التجسيد الأسمى والأرقى لذلك السواد السرمدي المحيط بهما، أما وجهها فكان هو الانعكاس الأصفى لضوء البدر الذي يضيء ذلك الليل السرمدي. ثم وقعت عيناه على ثوبها الأسود الطويل الذي بدا وكأنه يحاكي سواد الليل وسواد شعرها معًا، وقد زادها ذلك الثوب رونقًا وجمالًا بفعل تضادٍ لونه مع بياض بشرتها؛ مما زاد من تألقها فبدت وكأنها جوهرة تتلألأ في تلك الليلة الساحرة.

وقف أمامها مشدودًا مشدوهًا، تسرّب إليه اقتناع باستحالة كونها بشرًا، ربما هي ملاك تجسد في شكل بشري أو ربما هي جمال الكون كله تجسد له في شكلٍ أنثوي ليُكمل له ما نقص في ليلته المثالية. اقترب منها خطوة أخرى ليصبح على بعد أقل من نصف متر منها، اكتشف أن كل ما جال في خاطره لم يكن ذا معنًى؛ فهي أرقى من كل ذلك وأجمل وأصفى. كانت تقف ساكنة صامتة تنظر إليه ببعض الثقة وكثير من الهدوء والترقب.

قرر أن يبدأ الحديث معها. لم يكن اجتماعيًا، لم يُعرف عنه قطٌّ جرأةٌ في التعامل مع الجنس الآخر، لم يكن يحب الاقتراب من النساء، إلا أنه قال لنفسه محاولًا زيادة منسوب الجرأة لديه: "هذه ليست امرأة... إنها ملاك"!

تحيّر في الجملة الأولى التي تليق أن يبدأ بها حواره مع ملاكٍ متجسد في شكل بشري، حاول أن يبحث في قاموس مفرداته لعله يجد جملةً أو حتى كلمة تليق بها، كما تحيّر أيضًا بأي لغة يبدأ الحوار؛ فهو لا يعرف جنسيتها، وبعد حيرة وجد نفسه يقول لها بالإنجليزية: "لم أرَ في حياتي إشراقًا كإشراق وجهك، ولا جمالًا كجمالك".

فشاهدها وهي تنظر إليه باستغراب ثم ابتسمت ابتسامةً خفيفة قائلةً له باللغة الإنجليزية أيضًا وبصوتٍ ملائكي عذب: "شكرًا".

وعندما وجدها تهم بالانصراف بادرها بالقول: "أنا آسف جدًّا إن كنت قد أزعجتك أو تطفلت عليك، ولكنك من بعيد بدوتِ كطيفِ نوراني فدفعني الفضول أن اقترب منك، وعندما وصلت إلى هنا اكتشفت أنكِ لست طيفًا ولكنك أقرب إلى ملاكٍ يجسَّد كل ما هو جميلٌ في هذه الحياة؛ لذلك لم أتمالك نفسي وقررت أن أتحدث معك".

أحس بأن ما قاله لا يمثل جزءاً ولو يسيراً مما يختلج في وجدانه، اكتشف أن كل المفردات اللغوية التي يعرفها لا تستطيع أن تعبّر حتى عن أقل القليل مما يشعر به.

بدت في عينيه متألقة وهي تنظر إليه وعلى وجهها تلك الابتسامة الملائكية، والتي ازدادت جاذبية عندما حركت رأسها فاهتز شعرها مع حركة رأسها ثم تطايرت بعض خصلاته بفعل نسمة باردة هادئة داعبته، ثم قالت له: "شكراً جزيلًا".

لاحظ أنها تهم بالانصراف مرة أخرى فعاجلها بالقول: "هل من الممكن أن أتعرّف عليكِ"؟

أنهى جملته ثم عاتب نفسه؛ فقد أيقن أنه تجاوز حدود اللياقة مع سيدة لا يعرفها.

شاهدها تنظر إليه ببعض الدهشة قائلةً لـه باللغـة العربـيـة وبلكنـة مصـرية: "وهل من عادتك محاولة التعرف على كـل سـيدة تـراها في الطـريق وتعجب بهيئتها"؟

تعجَّب من كونها ردت عليه باللغة العربـية وبلكنـة مصـرية، إلا أنـه فرح لكونها عربـية مصـرية، لم يجد إجابة مباشـرة لسؤالها إلا أنه قال لها بالعربـية المصـرية أيضًا: "أعرف أني ربما تجاوزت حدود اللياقة، إلا أننـي لم أقابـل أو أشـاهد يومًـا سـيدة في جمالـك، كـما أن شـيئًا مـا يجذبني إليك وأنا حقًّا لا أعرف ما هو، فقـد وجـدت نفسـي أتحـرك نحوك وأقتـرب منك وأرغب في التعرف عليك".

ثم أكمل: "أنا هنا في رحلة سـياحية، وقد وصـلت إلى ڤيينـا منـذ نحـو أسبوع، ولم أتعـرف خـلال هـذا الأسـبوع عـلى أي شـخص ولم أتبـادل الحديث مع أي فرد إلا معك الآن، وأنا سعيد للغاية لأننـي اكتـشفت أنك مصـرية مثلي".

فقالت له: "أدركت من أول جملة لك أن لغتـك الإنجليزيـة بهـا لكنـةٌ شـرق أوسـطية وخمنـت أنـك عربـي. حسـنًا، مـاذا تـريد أن تعـرف عني"؟

بدا وكأن السؤال قد باغته، إلا أنه كان سعيدًا لأنهـا فتحـت لـه نافـذةً للحوار، فقال لها: "من الممكن أن نبدأ بمعرفة اسـمك". أنهـى الجملـة وعلى وجهه ابتـسامة خفيفة.

فوجدها تقول له بثقة وهدوء: "ماذا تتوقع أن يكون اسمي"؟

فقال لها بعد حيرة استمرت لثوانٍ: "نحن في ليلة خلابة وأنت أجمل ما فيها، كما أنني في ليل طويل منذ فترة بعيدة ويبدو أيضًا أنك ستكونين أجمل ما فيه، وأنا لم أسكر قبل اليوم أبدًا ويتراءى لي أنني سأبدأ قريبًا سُكرًا من نوع خاص؛ سُكرًا بفعل خمر جمالك وصفائك وعذوبتك؛ لذلك أعتقد أن اسمك هو ليلى".

شاهدها وهي ترمقه بنظراتٍ تعجُّبٍ للحظات، ثم حركت رأسها حركة خفيفة وأزاحت بعض خصلات شعرها التي انسدلت على وجهها، وبابتسامة عذبة ناعمة وصوت ملائكي قالت له: "سأخبرك عن اسمي لاحقًا، لنُبقِه مفاجأة حتى يحين الوقت المناسب". ثم سألته لتستبِق اعتراضه على إخفائها لاسمها: "ما هو اسمك أنت"؟

فأجاب مبتسمًا: "اسمي فارس، وعمري خمس وأربعون عامًا، دارس للصيدلة، ولكنني أعمل في مجال السياحة". ثم أضاف ضاحكًا: "هل لديك أسئلة أخرى"؟

وجدها تبادله الضحك ثم قالت: "أنا سألتك فقط عن اسمك، عمومًا شكرًا على هذا الكم من المعلومات".

فقال لها: "عفوًا". ثم أضاف: "وماذا عنك؟ هل تعملين"؟

فأجابت: "لا، أما عن دارستي فأنا دارسة للأدب الإنجليزي". ثم سألته بابتسامة ماكرة: "ألن تسألني عن عمري"؟

فأجابها: "ليس من اللائق أن تُسأل سيدة عن عمرها، هكذا يقولون"!

فقالت له: "دعك مما يقول الآخرون، إن أردت أن تعرف شيئًا عني تستطيع أن تسألني".

فقال لها: "حسنًا، ما هو عمرك"؟

فوجدها تجيبه بسؤال: "كم عمري في رأيك"؟

فأجابها بعد تفكير دام ثانيتين أو ثلاث: "ثلاثون عامًا".

فقالت له ضاحكة: "شكرًا لمجاملتك، ولكنني في الأربعين".

ارتسم على وجهه الكثير من علامات التعجب وقال: "إنك تبدين أصغر من ذلك بكثير. فابتسمت ولم تُعقِّب".

ثم ساد بينهما صمت لعدة ثوانٍ، كانت خلاله تنظر إليه بترقب متأهبةً لسماع ما سيقوله، في حين كان هو مرتبكًا لا يعرف ماذا يقول، إلا أنه استعاد رباطة جأشه وسألها: "هل تفضِّلين السير أم الجلوس في مكان ما"؟

فأجابته: "أفضِّل السير لبعض الوقت ولكن قريبًا من النهر؛ فالجو رائع والمشهد العام للشوارع والأشجار والنهر يعطيني إحساسًا بالراحة وصفاء النفس".

اختلس نظرةً ليرى ما ترتديه في قدميها فوجدها ترتدي حذاءَ أسود بكعب عالٍ لا يقل ارتفاعه عن سبعة سنتيمترات أو ربما ثمانية، وجد أنها لاحظت نظرته إلى حذائها وكذلك انتبه إلى أنها لمحت بعض الدهشة التي بدت على وجهه، ثم وجدها تجيب على سؤاله قبل أن يسأله: "لا تتعجب؛ فأنا معتادة على السير بالكعب العالي".

فابتسم وأشار إليها بيده في اتجاه منتصف الجسر -حيث كان يقف عندما رآها لأول مرة - ثم سارا معًا حتى وصلا إلى ما قبل منتصف الجسر بقليل دون أن يتحدثا على الإطلاق. وفجأة وجدها تأخذ زمام المبادرة وتسأله: "من أي مدينة أنت في مصر"؟

فارس: "من الإسكندرية. وأنتِ"؟

فأجابته: "من القاهرة، ولكنني أعيش في لندن". ثم سألته: "بحكم عملك في السياحة فأنا أفترض أنك كثيراً ما زرت القاهرة ولندن، أليس كذلك"؟

فارس: "المفاجأة هي أنني لم أذهب إلى لندن مطلقًا؛ فنشاط شركتي قائم على أسواق السياحة في شرق أوروبا، أما القاهرة فبالطبع

زرتها، ولكنها زيارات قليلة ونادرة". ثم سألها: "ولماذا انتقلتِ للسكن في لندن"؟

فأجابت: "انتقلت إلى لندن بسبب ظروف دراسة زوجي ثم عمله". ثم سألته: "هل أنت متزوج"؟

نزلت عليه جملتها كشلال من الإحباط؛ فقد كان يُمنِّي نفسه ألا تكون مرتبطة، ولكن إجابتها قد بنت في لحظة واحدة سورًا عاليًا بينهما يصعب كثيراً عليهما تجاوزه، وفجأةً أصبح سقف أحلامه أكثر انخفاضًا وأقل رحابةً.

ثم أجابها عن تساؤلها الأخير: "لا، لست متزوجًا".

فسألته مرةً أخرى: "هل سبق لك الزواج؟ هل لديك أولاد"؟

فارس: "كلا، ليس لدي أولاد ولم يسبق لي الزواج".

ثم سألها: "ما هي وظيفة زوجك"؟

هي: "زوجي صيدلاني ويعمل في إحدى شركات الأدوية".

فارس، مبتسمًا: "هناك شيء مشترك بيني وبينه؛ فأنا دارس للصيدلة كما أخبرتك".

هي، مبتسمة: "نعم، لاحظت ذلك. ثم صمتت ولم تسترسل".

فارس: "هل لديك أولاد"؟

هـي: "ابـنٌ واحـد في السـابعة عشـرة مـن عمـره، وابنـة في الخامسـة عشـرة".

فارس: "لقد تزوجتِ في سن مبكرة".

هي: "نعم لقد تزوجت مبكرًا". ثم أضافت بصوت به بعض الحسـرة: "بناء على رغبة والدي".

فارس: "ومنذ متى وأنت تعيـشـين في لندن"؟

هي: "منذ سبعة عشـر عامًـا؛ بعـد زواجـي بعـام واحـد تـرك زوجـي القاهرة وسافر إلى هناك لدراسة الدكتوراه، وبعد أن فرغ من دراسـته قرر أن نستمر في لندن ولا نعود إلى مصـر".

فارس: "ربما يكون معه حق؛ لندن مدينة رائعة، كما أن ظروف الحياة هناك أفضل لكما ولأولادكما".

هي، بعينين تتطلعان إلى أعلى: "ربما".

عندها وصلا إلى نهايـة الجسـر، ثـم انعطفـا يمـينًا ليـصبح النهر عن يمـينهما. أحس فارس أنه سأل عدة أسئلة شخصـية بـشكل متتالٍ وأنه من الأفضل أن ينقل الحوار لمنطقة أخـرى.

فارس: "وماذا تفعلين في ڤيينا"؟

هي مبتسمة: "أنا هنا للسياحة".

"فارس": "وحدك"؟

هي: "ولماذا افترضت أنني وحدي"؟

فارس: "أنا افترضت أنك وحدك لأنك لو كنت مع عائلتك أو أصدقائك لكنت بصحبتهم الآن".

هي: "افتراضك صحيح؛ فأنا في ڤيينا وحدي".

فارس: "ولماذا..."

ثم توقف ولم يكمل السؤال.

هي: "لماذا ماذا"؟ ثم ابتسمت قائلة: "أكمل سؤالك، هل تقصد ولماذا أتيت إلى ڤيينا للسياحة وحدي"؟

فارس: "لقد كنت على وشك أن أسألك هذا السؤال فعلًا إلا أنني تراجعت؛ فقد قلت في نفسي إنني ربما أكون على وشك أن أتعدى حدودي".

obeikandl.com

هي متجاهلةً جملته ومجيبةً عن سؤاله: "أنا هنا لأنني أردت أن أبتعد عن كل شخص وكل شيء أعرفه، أردت أن أكون في مكان جديد تمامًا بالنسبة إليّ".

صمت فارس ولم يعقب، أراد أن يسألها العديد من الأسئلة إلا أنه فضَّل - ولسبب لم يعرفه وقتها - ألا يفعل.

ساد بينهما صمت لدقيقة تقريبًا، ثم وجدها تكسره قائلةً: "هل أنت هنا للسياحة فقط كما قلت لي؟ أم أنك بحكم طبيعة عملك تمزج السياحة بالعمل"؟

فارس بابتسامة خفيفة: "أنا هنا للسياحة فقط ولنفس السبب الذي جاء بك؛ فقد أتيت إلى ڤيينا لأنني أردت الابتعاد عن كل شخص وكل شيء أعرفه".

فوجدها تسأله بفضول: "ولماذا أردت الابتعاد عن كل شيء"؟

أسرّ فارس في نفسه بعض الدهشة؛ حيث إنها امتلكت الجرأة لتسأل عما افتقد هو الجرأة لكي يسألها عنه.

فارس: "لأنني ببساطة مللت كل شيء، فقدت الثقة في كل شيء، وأصابني الإحباط من كل شيء".

هي متسائلة: "من كل شيء أم من كل شخص"؟

فارس ببعض الأسى: "من كل شيء ومن كل شخص".

عندما أنهى فارس جملته توقَّف عن المشي بشكل لا إرادي فتوقفت معه بصورة تلقائية، نظر إلى النهر لثوانٍ قليلة ثم نظر في الاتجاه الآخر فوجد قصراً من القصور التاريخية التي يعود تاريخ بنائها إلى عدة قرون مضت، اتسعت حدقتا عينيه عندما وقعتا على ذلك القصر المبنيَ وفقًا للطراز المعماري السائد في عصر "الباروك"، انتبه إلى أنها لاحظت ذلك مع ازدياد تحديقه في القصر فسألته: "هل تحب الطراز المعماري لذلك القصر"؟

فارس: "نعم، إنه يجمع بين عبق الماضي مع إمكانية التطوير والتحديث".

هي: "أما عبق الماضي فقد عرفناه، ولكن ماذا تقصد بإمكانية التطوير"؟

فارس: "في بناياتٍ من هذا الطراز تستطيعين إضافة الكثير من مظاهر التقنية الحديثة بداخل المبنى مع الاحتفاظ بالطراز المعماري كما هو من الخارج؛ فمثلًا تستطيعين إضافة وصلات الكهرباء وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والغاز وخلافه؛ وبذلك يمكن لمن يعيش بداخله أن يحظى بكافة مظاهر الرفاهية ومزايا التقنيات العصرية وفي نفس الوقت يظل المبنى ظاهريًّا كما هو بالنسبة لمن ينظر إليه من الخارج".

صمتا لثوانٍ ثم وجدها تسأله: "وهل أنت مثل هذا المبنى"؟

فارس مرتبكًا: "ماذا تقصدين"؟

هي: "هل أنت ظاهريًّا كما أنت ولكنك تتغير من الداخل"؟ صمت ولم يجب، وبعد عدة ثوانٍ قالت له: "هل فوجئت بسؤالي"؟

فارس بنبرة صوت بها قدر واضح من التوتر: "بصراحة لا أعرف، لم أفكر في ذلك الأمر من تلك الزاوية قبل الآن".

هي: " من الواضح أن سؤالي قد أزعجك، عمومًا نستطيع أن نغيِّر الموضوع".

فارس وبصوت ما زال يحمل في ذبذباته بعض التوتر: "كلا، لم أنزعج".

وقعت عيناه على مقعد في الجهة المقابلة من الشارع، كان المقعد بجانب أحد أعمدة الإضاءة ومن يجلس عليه يكن مواجهًا مباشرة للنهر، كما كان هناك عدة أشجار خلف المقعد بحيث بدا وكأنها ديكور طبيعيّ له. فكَّر فارس في الجلوس على ذلك المقعد، لم يكن في الواقع متعبًا إلا أنه ارتأى أن استكمال حوارهما جلوسًا سيكون أفضل؛ حيث اعتقد أن جلوسه سيقلل من منسوب التوتر لديه.

فارس: "هناك مقعد في الجهة الأخـرى مـن الشـارع، هـل تفضـلين أن نجلس قليلًا"؟

هي: "هل تعبت من المشـي"؟

فارس: " كلا، ولكنه نوع من التغيير، يمكننا أن نجلس قلـيلًا ثـم نواصـل السـير بعد ذلك".

شـاهدها فـارس وهـي تنظـر إلى المقعـد ولاحـظ عـلى وجههـا بعـض علامات الرضا وأحس أنها لن تجد سببًا للاعتـراض على طلبه.

هي: "حسنًا، لنجلس قليلًا".

ثم عبـرا الطـريق وجلسا على المقعـد، وبعـد نحـو نصـف دقيقـة مـن الصمت والتحديق في النهر، وجدها فارس تعتدل في جلسـتها ليـصبح وجهها مواجهًا له ثم أعادت عليه سؤالها: "هل أنت تتغير من الـداخل ولكنك تبقى ظاهريًّا كما أنت"؟

فارس: "لماذا تلحِّين على هذا السؤال"؟

هي: "ولماذا تـرفض الإجابة"؟

فارس: "ألا تـرين أن هذا السؤال شخصـي للغاية"؟

هي: "نحن نتحاور منذ فترة وتبادلنا الكثير من المعلومات والأسئلة الشخصية".

فارس منفعلًا ومتعجبًا: "وهل هذا يعطيكِ الحق في أن تسألي أي سؤال يحلو لك"؟!

هي بابتسامة: "لا أرى أي مشكلة في سؤالي".

فارس وقد ازداد منسوب انفعاله إلا أنه ظل متحكمًا في درجة ارتفاع نبرة صوته: "أما أنا فأرى أنه اقتحام واضح وحادٌ جدًّا لخصوصياتي ولا يحق لك أن تسأليه".

ثم صمت لنحو ثانيتين قبل أن يضيف بتعجب: "أنا إلى الآن لا أعرف اسمك"!

صمتت لنحو ثلاث أو أربع ثوانٍ ثم قالت: ليلى.

فارس مندهشًا: "ماذا"!

هي: "ليلى، اسمي ليلى".

فارس متسائلًا في تعجب: "اسمك ليلى"؟!

ليلى: "نعم، هل ما زلت ترى أنه لا يحق لي أن أسألك سؤالًا كهذا"؟

obeikandl.com

أخذ فارس شهيقًا عميقًا وأخرجه ببطء، ثم كرر ذلك عدة مرات، نحو نصف دقيقة لم يستطع أن يقول فيها شيئًا من وقع المفاجأة، إلا أنه وجدها تبدأ بالكلام.

ليلى: "أنا لم أكن أرغب في الحديث معك والتعرف عليك منذ البداية، خصوصًا بعد أن لاحظت من لكنتك أنك شرقي ثم بعد أن علمت بأنك مصري؛ فأنا وأنت نعلم تمامًا ما قد يفكر فيه رجل مصري يتحدث مع امرأة مصرية وافقت على أن تتعرف عليه في وسط الطريق في مدينة أوروبية وعند منتصف الليل! ثم أخذت شهيقًا وأضافت: "بداية كلامك معي كانت تقليدية للغاية وأسلوبك قديم جدًّا، وكنت بالفعل على وشك أن أبتعد، ولكن في اللحظة التي خمنت فيها اسمي تغيّر كل شيء، تعجبت في البداية، فكرت كثيراً أنك ربما تعرفني قبل هذه الليلة، ولكن من حوارنا معًا اكتشفت أنك لم تزُر لندن من قبل وبالكاد تعرف أحدًا في "القاهرة"؛ لذلك استبعدت فكرة أنك تعرفني قبل الليلة، ثم سألت نفسي: هل هي مصادفة! أم هو القدر! ولم أجد إجابة". ثم صمتت لثوانٍ قبل أن تُكمل: "هل تعلم أنني حاصلة على شهادتين جامعيتين"؟

فارس مندهشًا: "لا. لا أعلم. لقد قلتِ لي إنك دارسة للأدب الإنجليزي".

ليلى: "نعم، أنا حاصلة على ليسانس في الأدب الإنجليزي، ولكنني أيضًا حاصلة على بكالوريوس في الصيدلة".

فارس متعجبًا: "ولكنهما مجالان مختلفان تمامًا وبعيدان كل البعد عن بعضهما"!

ليلى: "أنا في الأساس صيدلانية مثلك، وتعرفت على زوجي أثناء دراستي في كلية الصيدلة؛ فقد كان معيدًا في ذات الكلية، وبعد أن انتقلنا إلى لندن وبدأ الأولاد يلتحقون بمدارسهم أصبح لدي وقت فراغ كبير، ورغم أن زوجي لم يسمح لي بالعمل إلا أنه سمح لي بالدراسة لشغل وقت فراغي، فالتحقت بالجامعة مرة أخرى وقررت وقتها دراسة الأدب الإنجليزي". أخذت شهيقًا قبل أن تكمل: "لقد كان هذا ثاني رابط غريب بيننا بعد أن خمنت اسمي بشكل صحيح".

فارس: "في الواقع كان هذا هو الرابط الرابع وليس الثاني".

ليلى بتعجب: "الرابع! وكيف هذا"؟

فارس: "الرابط الأول هو هذه المدينة في هذا التوقيت؛ وجودنا في نفس المكان وفي نفس الوقت يمثل الرابط الأول".

ليلى: "حسنًا، هذا يجعلهم ثلاثة روابط، ماذا عن الرابع"؟

فارس: "أنا أيضًا دارس للأدب الانجليزي".

ليلى متعجبة: "ماذا! هل تقصد أن لك قراءات في الأدب الانجليزي"؟

فارس: "كلا، بل أقصد دراسة أكاديمية مثل دراستك، عندما حصلت على الثانوية العامة في مصر لم أتمكن من الحصول على مجموع مرتفع نتيجة بعض الظروف العائلية، فالتحقت بكلية الآداب وقمت بإعادة السنة الدراسية، وفي الإعادة حصلت على مجموع يؤهلني للالتحاق بكلية الصيدلة إلا أنني لم أشأ أن أترك كلية الآداب فقد أعجبتني الدراسة بها؛ ولذلك أكملت دراستي في الكليتين معًا إلى أن أنهيتهما، وبالتالي حصلت مثلك على شهادتين جامعيتين"! ثم أخذ شهيقًا بسيطًا وأكمل: "ألم أقل لك إنهم أربعة روابط"؟!

ليلى: "في الواقع هم خمسة وليسوا أربعة"!

فارس متعجبًا: "وما هو الرابط الخامس"؟

ليلى: "أنني مثلك معجبة بالطراز المعماري الذي كان سائدًا في عصر الباروك".

فارس مشيرًا إلى القصر: "أي إنك معجبة بهذا القصر مثلي"؟

ليلى: "أجل ولنفس السبب".

فارس، مبتسمًا: "وهل أنت تشبهين هذا القصر"؟ ثم صمت عدة ثوانٍ قبل أن يكمل بصوت أكثر انخفاضًا: "هل تتغيرين وتتطورين من الداخل ولكنك تبقين كما أنت من الخارج"؟

ليلى ضاحكة: "أنت الآن تسألني نفس السؤال الذي رفضتَ إجابته! عمومًا سأجيبك". ثم أضافت بعد أن اتجهت بنظرها ناحية القصر: "أجل، هذا بالضبط ما يحدث لي؛ فقد تغيرت تمامًا في السنوات الأخيرة وكثيراً ما ينتابني الشعور بأنني قد أصبحت شخصًا آخر، ولكنني ظاهريًّا كما أنا بنفس هيئتي المحافظة وسلوكي الشرقي الذي يفضِّل السير بهدوء وبجوار الحائط".

أحس فارس بأن ليلى على وشك أن تفتح قلبها له، أحس بأنها ترتاح إليه، وفي المقابل كان يشعر أنه يريد أن يفتح لها بابًا إلى عقله وقلبه، كان متيقنًا أن ما يحدث يستحيل أن يكون مصادفة، كان مقتنعًا تمام الاقتناع بأن القدر قد وضع كلًّا منهما في طريق الآخر لسبب ما.

ثم وجدها تسأله سؤالها القديم وهو أيضًا نفس سؤاله الجديد: "وماذا عنك أنتَ؟ هل تغيرتَ من الداخل أيضًا"؟

فارس متخليًا عن اعتراضه السابق على إجابة السؤال: "نعم، لدرجة أنني أصبحت بالكاد أعرفني! لقد أصبحت الآن أرفض تقريبًا كل ما كنت أؤيده بشدة منذ عشر سنوات، وأؤيد الآن بشدة كل ما كنت

أرفضه بالمطلق وقتها، أصدقائي القدامى لم أعد أحس بالانجذاب إليهم، أما من كانوا مقربين من أقاربي فقد أصبحت الآن بالكاد أتحدث معهم". تنهَّد بعدها قليلًا قبل أن يُضيف: "أمام الناس أحس بأنني أؤدي دورًا في مسرحية تُعرض بشكل مستمر، وهذا الدور عبارة عن شخصيتي أنا ولكن منذ عشر سنوات، كم أتمنى أن يأتي الوقت الذي أتمكَّن فيه من التوقف عن أداء هذا الدور في هذا العرض الذي لا يريد أن يتوقف".

ليلى بهدوء وبنبرة صوت منخفضة: "وكأنك تتحدث عني".

ثم ساد بينهما صمت استمر عدة دقائق، كان ذلك الصمت ظاهريًّا في حين ماج ذهن كل منهما بعشرات الأفكار والأسئلة بعضها عما سبق والبعض الآخر عما هو آتٍ وأغلبها عما هما فيه الآن!

بعد عدة دقائق من ذلك الصمت الظاهري، قال فارس وهو ينظر إلى النهر: "هل تعرفين أننا نشبه هذا النهر"؟

ليلى: "ماذا تقصد"؟

فارس: "هل تعلمين أن هذا السكون الذي عليه النهر هو سكون ظاهري"؟

ليلى: "نعم، وهناك دائمًا تيارات أسفل السطح، وهي تيارات دائمة الحركة لا تسكن أبدًا".

فارس: "بالضبط؛ لذلك نحن نشبه هذا النهر؛ فسكوننا ظاهري ولكن بداخلنا حركة مستمرة من الأفكار والتساؤلات والتغيرات".

ليلى متسائلة: "ما هي أكثر صفة تغيرت بداخلك دون أن تظهر للناس"؟

أجاب فارس بدون تردد: "الطاعة".

ليلى متسائلة باستغراب: "الطاعة! ماذا تقصد"؟

فارس: "منذ أن كنت طفلًا صغيراً كنت مُلزمًا بطاعة الجميع؛ طاعة أبي وأمي في المنزل، طاعة رجل الدين في بيت الله ومن ثَم تمتد طاعته لتشمل معظم نواحي حياتي، طاعة المدرس في المدرسة ثم الأستاذ الجامعي عندما التحقت بالجامعة، طاعة السلطة في كل شيء ترى الحكومة فرضه علينا، ثم طاعة المدير أو صاحب العمل عندما التحقت بسوق العمل، وفوق كل هذا طاعة المجتمع بعاداته وتقاليده وأعرافه وتدخلاته الدائمة في تصرفاتي وتعريف وتوصيف ما هو جائز وما هو مرفوض".

أحس فارس ببعض الانفعال والارتفاع في نبرة صوته فتوقف عن الكلام، أخذ شهيقًا ثم نظر إلى ليلى فوجدها في انتظاره ليكمل، فعاد ببصره إلى حيث النهر ثم أخرج زفيراً ببطء وبعد ذلك قال: "منذ ما يقرب من عشرة أعوام بدأت أعيد حساباتي؛ فقد اكتشفت أنني أحيا كما يريد الآخرون وليس كما أريد أنا. والأَمَرُّ من ذلك أنني عندما توقفت وسألت نفسي: ماذا أريد في هذه الحياة؟ لم أكن قادراً على الإجابة... لم أجد إجابة! فقد اكتشفت أنني مع الوقت تحولت إلى مسخٍ ولم أعد إنسانًا ولم يعد لي رأي أو قرار أو رغبة، عندها أيقنت أنني لا بد أن أفعل شيئًا".

لحظتها وجد ليلى تسأله باهتمام: "وماذا فعلت وقتها"؟

فأجابها فارس: "لم أكن أعرف وقتها ما عليّ فعله تحديدًا، ولكنني بدأت في التمرد على كل من حولي، رفضت ما يقوله أبي وأمي وبدأت أرفض نصائحهما بالجملة؛ فقد قلت في نفسي: لو كانت نصائحهما ذات قيمة لطبّقاها على أنفسهما وارتقيا بأنفسهما وبوضعهما المالي والمهني والاجتماعي".

ليلى: "كلام قاسٍ"!

فارس: "أجل، أعلم، وربما جانبني الصواب في بعضه إلا أنني قلت ذلك في نفسي ولم أبُح لهما به مطلقًا حفاظًا على مشاعرهما".

ليلى: "حتى وإن قلت ذلك الكلام في نفسك فسيظل هذا تفكيراً قاسيًا. من الواضح أنك وقتها كنت تبحث لنفسك عن أسباب للتمرد على كل مظاهر السلطة في حياتك، كما أنك وقتها كنت في الخامسة والثلاثين وبالتأكيد لم يكونا يمارسان عليك أي نوع من السلطة الفعلية".

فارس: "أجل، ربما يكون هذا صحيحًا إلى درجة كبيرة". ثم صمت لثوانٍ أضاف بعدها: "ولتكتملَ أركان تمردي على كل مظاهر السلطة في حياتي وقتها فقد بدأت في رفض معظم ما يقوله رجال الدين".

ليلى: "وكيف بررت ذلك لنفسك"؟

فارس: "لم يكن ذلك سهلًا في البداية؛ لذلك فقد اتبعت سياسة الخطوة خطوة، لقد تجردتُ تدريجيّا من الانبهار والإجلال الذي يصبغ به معظمنا كلام رجال الدين، ثم قمتُ بالنظر بطريقة منطقية لما يقولون فأدركت أنهم لا يعيشون معنا في هذه الدنيا! لقد أيقنتُ - يومًا بعد يوم - أنهم يعيشون بفكرهم في الماضي السحيق، لا يفهمون العصر ولا ظروفه، لا يستوعبون التكنولوجيا ولا العلم ولا تأثيراتهما على تصرفات الناس وأفكارهم ومشاعرهم. معظمهم يدعي الوسطية ولكنه في الواقع أقرب ما يكون للتطرف شكلًا ومضمونًا، لقد تأكدت أنهم لا يستوعبون أن الإنسان نفسه قد تغير

عن ذلك الإنسان الذي كان يعيش منذ ألف وأربعمائة أو ألفَي عام. أنهى جملته ثم صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه".

ليلى: "يبدو أن هذا الموضوع بكل جوانبه يصيبك بالتوتر".

فارس بعد أن نظر إليها: "نعم، كلما تذكرت ما يقرب من خمسة وثلاثين عامًا من القهر الفكري والاجتماعي والعاطفي أصاب بالمرارة لدرجة أنني أحس بطعم مر في فمي"!

ليلى: "لا عليك، هذه هي الحياة، سلسلة متصلة من التجارب التي تساعدنا لكي نصل في النهاية إلى اكتشاف أنفسنا واختيار طريقنا".

فارس: "معكِ حق، فتلك السنوات الخمس والثلاثون هي التي قادتني لما أنا فيه الآن".

ليلى: "هذا صحيح، أكمل من فضلك".

فارس: "أخذت رحلة تمردي على كل شيء تزداد جنوحًا، رفضتُ مبدأ أن أستمر في العمل عند غيري".

ليلى: "وأين كنت تعمل وقتها"؟

obeikandl.com

فارس: "وقتها كنت أعمل في إحدى شركات الأدوية، مكثت بها نحو ثلاثة عشر عامًا كنت مضطرّا خلالها أن أنفذ تعليمات المديرين وصاحب العمل بالحرف، إما ذلك وإما عواقب غير سارة".

ليلى: "وبالطبع استقلت في نوبة التمرد تلك، أليس كذلك"؟

فارس، مبتسمًا: "أجل، فقد قررت بعد عدة أشهر من التفكير أن أستقيل، وبالفعل تركت العمل لديهم ورفضت بعد ذلك مبدأ أن أعمل لدى آخرين؛ فقد نلت كفايتي من السمع والطاعة للمدير أو صاحب العمل".

ليلى بفضول: "وكيف اتجهت للسياحة"؟

فارس: "كان لي ثلاثة أصدقاء يعملون في مجال السياحة على وشك تأسيس شركة للنقل السياحي وكانوا بحاجة إلى شريك رابع، فجمعت كل مدخراتي بالإضافة إلى بعض المال الذي اقترضته من البنك كقرض شخصي وانضممت إليهم، ثم بعد عدة سنوات أسست شركة مستقلة تختص بتنظيم الرحلات السياحية للأفواج واحتفظت بشراكتي معهم في شركة النقل السياحي".

فقالت له ليلى وهو يلمح في عينيها بعض علامات التعجب: "رحلتك في الحياة تبدو مثيرة وناجحة ولكنك تقول بأنك تعيش بشكل يتناقض ظاهره عما يدور بداخلك من أفكار، فكيف ذلك"؟

فارس: "لأن هذه هي الحقيقة؛ إن الأمر الوحيد الذي تمردت عليه ونفذته كان ما يتعلق بعملي أما غير ذلك فلا؛ مثلًا منذ عشرة أعوام وأنا أرفض أفكارَ ونصائح أبي وأمي وأتجاهلها تمامًا إلا أنني لم أتمكن يومًا من مواجهتهما بذلك، لم تواتني الجرأة يومًا أن أنظر إليهما في عينيهما وأقول لهما: كلامكما خاطئ، كل نصائحكما خاطئة، معظم قراراتكما المتعلقة بتربيتي وتنشئتي لم تكن فقط خاطئة ولكن كارثية أيضًا! لم أستطع أن أقول لهما: أنتما لم تنشئا إنسانًا سويًّا وإنما أنشأتما مسخًا معقَّدًا يائسًا. لم أتمكن يومًا من أن أقول لهما: إن وظيفتي في هذه الحياة هي تحقيق أحلامي أنا لا أحلامكما أنتما، أنا لست في هذه الدنيا لأنجح حيث أخفقتما أو لأقدر حيث عجزتما، أو لأنفذ لكما ما تريدانه من طموحات تتعلق بكما وبجيلكما ولا تتعلق بي أو بجيلي. "

ليلى: "ولماذا لم تتمكن من أن تفعل ذلك"؟

فارس: "لاعتبارات كثيرة، منها أنهما في آخر أيامهما ولن يتحملا نقدًا كهذا؛ فهو سيكسر قلبيهما، وهناك اعتبار آخر وهو أنهما يظنان أنهما أب وأم مثاليان وسيرفضان كل ما أقول وسينكران أنهما أعطيا أية نصائح خاطئة لي أو أساءا توجيهي في صغري".

ليلى: "وبالطبع هذه الإنكار المتوقع من جانبهما سيزيد من مرارتك ويزيد المسافة بينك وبينهما اتساعًا".

فارس: "نعم هذا صحيح، ناهيك عن الاعتبارات الدينية؛ فكلام من هذا النوع سيُعتبر من وجهة نظر رجال الدين إساءة لهما وعدم تقدير لدورهما وبالتالي عقوق لهما".

ليلى: "أجل، أفهم هذا جيدًا، وكأنه من المكتوب علينا أن نكون حقل تجارب لآراء آبائنا الخاطئة وطرقهم الفاشلة في التربية دون أن يكون لنا الحق في المواجهة أو الرفض أو الاعتراض سواء عندما كنا صغارًا أو حتى عندما كبرنا".

فارس: "بالضبط، وبالتالي فقد ظل رفضي لأفكارهما ولطريقة تنشئتهما لي رفضًا خاصًا بيني وبين نفسي، أطبقه بهدوء وحدي، وفيما يخص شئوني، دون أن أواجههما به".

ليلى: "ولكنك على الأقل أخذت خطوة الرفض".

فارس بنبرة صوت بها بعض الانهزامية: "إلا أنني لم أتمكن من أخذ خطوة المواجهة والاعتراض العلني".

ليلى: "وهل هناك أفكار أخرى رفضتها سرًا دون القدرة على البوح بها؟ هل هناك أي رفض آخر "سرِّيّ" للطاعة"؟

obeikandl.com

فارس: "نعم، يوجد رجال الدين وأحاديثهم، وبالتأكيد لم أخبر أحدًا بهذا؛ لأن البوح بأمر كهذا يعتبر نوعًا من الانتحار الاجتماعي إن لم يكن الفعلي في مجتمعنا كما تعرفين".

ليلى: "أخبرني أولًا ما طبيعة رفضك لما يقولونه"؟

فارس: "منذ عشرة أعوام تقريبًا، قررت أن أحاول إخضاع ما يتقوّل به هؤلاء الأشخاص لحسابات المنطق والتحليل العلمي، ففوجئت مع الوقت أن معظم ما يرددونه لا علاقة له بالعقل أو المنطق من قريب أو بعيد؛ كلام مرسل وتفسيرات قديمة للنصوص المقدسة لا تتفق مع العصر ولا تطوراته، ولا علاقة لها بما نعيشه في حياتنا اليومية".

ليلى متسائلة: "وهل أفهم من كلامك أنك لا تعترض على النصوص المقدسة"؟

فارس بحدَّة بها بعض الاصطناع: "بالطبع لا أعترض عليها".

ليلى بابتسامة بها درجة من التعجّب والتهكم: "يبدو أنك لست تقدميّا إلى الدرجة التي تخيلتُها عند بداية سماعي لاعتراضاتك على شيوخ الأديان"!

فارس محاولًا تجاهل تعليقها: "أنا أعترض على تفسيراتهم للنصوص وهرطقاتهم المنسوبة إليها، ولكنني بالطبع لا أجرؤ كثيراً على البوح

بهذه الآراء إلا وسط عدد محدود من معارفي لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة؛ فمثل هذه الآراء ستجعلني منبوذًا في معظم الأوساط الاجتماعية، وربما أيضًا بين معظم أفراد عائلتي وأصدقائي".

ليلى: "إذًا كيف تتعامل مع النصوص المقدسة التي تقول إنك مؤمن بها"؟

فارس: "لا أتعامل معها بكثير من التحليل في الواقع؛ فأنا أتجاهل آراء رجال الدين وأطبق ما أفهمه أنا من مجمل هذه النصوص، إلا أنني أفعل ذلك وأطبقه بيني وبين نفسي وفيما يخص شئوني فقط دون أن أبوح بذلك لأحد".

ليلى متنهدة: "معك حق فيما كنت تقوله؛ فأنت بالفعل تؤدي دورًا يتكرر يوميّا دون انقطاع في مسرحية تتكرر دون انقطاع أيضًا. ثم سمعها تضيف بعد تنهيدة أخرى ولكنها أخف من الأولى: إنك تظهر يوميّا بشكل مغاير عما هو بداخلك، أي إنك ببساطة تحيا حياة ليست حياتك".

فارس: "أجل، ناهيك عن رفضي القاطع للكثير من العادات والسلوكيات المفروضة علينا من المجتمع، وأضطر في كثير من الأحيان إلى إخفاء ذلك الرفض تجنبًا للنبذ من محيط معارفي".

ليلى بفضول: "مثل ماذا"؟

فارس: "الكثير من الأمور، فأنا مثلًا أرفض فكرة أن ينفق الرجل جزءًا كبيرًا من مدخراته لإقامة حفل زفاف لا طائل من ورائه، إلا أنني أضطر بالطبع إلى تلبية كل دعوات أقاربي وأصدقائي إلى حفلات زفافهم مجاملةً لهم".

ليلى ضاحكة وبنبرة أحس فيها بدرجة من التهكم: "وربما أنت أيضًا ستضطر أن تقيم حفل زفاف عندما تتزوج إرضاءً لعروسك".

فارس ضاحكًا: "نعم، ربما". ثم أضاف: "وأرفض أيضًا تدخُّل المجتمع في شئوني ورغبة الجميع في معرفة كل شيء عني، كما أرفض الاعتبارات الاجتماعية التي تجبرنا على اتخاذ قرارات معينة مخالفة لتطلعاتنا، مثل أن يضغط الآباء والأمهات على أولادهم لدخول كليات معينة لظنهم أن هذا يمكِّنهم من الوصول إلى وضع اجتماعي معين".

ليلى وهي تهز رأسها إيماءً بالموافقة: "نعم، أوافقك على ذلك تمامًا وأعلمه جيدًا".

استرسل فارس وبمزيد من الحماس: "وأرفض أيضًا أن يُمنع المرء من الدخول في مجال عمل معين نتيجة اعتبارات اجتماعية".

ليلى: "أوافقك على هذه الجزئية أيضًا؛ فإحدى صديقاتي منذ أيام الجامعة كانت ترغب بشدة أن تعمل في المجال الفني، إلا أن عائلتها رفضت تمامًا واضطرت في النهاية أن تستجيب لهم".

فارس: "وبالطبع ضاع حلمها بسبب تعنت عائلتها". ثم أضاف: "لذلك فأنا أرفض كل هذا تمامًا ولا أطيقه، ولكن كما قلت لك فشكل الرفض الذي أتخذه حتى الآن هو الرفض الفكري وبشكل سري أيضًا، الاستثناء الوحيد هو عملي؛ فقد رفضت وقررت ثم نفذت ما أريده".

ليلى: "ولكنك على الأقل نفذت ما تريده في أحد جوانب حياتك".

فارس: "نعم، هذا صحيح". ثم أضاف بنبرة هامسة: "انتصار واحد وسط بحر من الهزائم. "

صمتا قليلًا، كان فارس سعيدًا كما لو أنه أزاح حجرًا من فوق صدره، في حين كانت ليلى تترقب دورها فيما يشبه الجلوس على كرسي الاعتراف. وبعد فترة الصمت أخذ فارس زمام المبادرة وسألها: "وماذا عنك"؟

ليلى متسائلة بابتسامة: "ماذا عني"؟

فارس وهو يبادلها الابتسامة: "كيف يختلف ظاهرك عما هو بداخلك"؟

شاهدها تتنهد ثم تقول.

ليلى: "أحس بأنني لستُ ليلى التي كنت أعرفها منذ زمن مضى؛ أحس بأنني مثلك أؤدي دورًا في مسرحية وبشكل يومي أيضًا،

ولكنني مضطرة لتأديته حتى النهاية، فأنا لا أملك مثلك ترف التخطيط أو حتى الحلم بأن أغير وضعي، فتوقُّفي عند أداء دوري سوف يدمر أسرتي وينعكس بالسلب على زوجي وأولادي".

فارس متسائلًا بهدوء وإبتسامة خفيفة: "ما هي أكثر صفة تغيرت بداخلك دون أن تظهر للناس"؟

صمتت ليلى قليلًا، في الواقع لم يفاجئها السؤال؛ فقد كانت تفكر بجزء من عقلها في إجابة لهذا السؤال منذ أن سألته له بنفسها منذ نحو نصف الساعة، إلا أنها لم تصل إلى صيغة لإجابة محددة، فقالت: "لا أعرف، ولكنني أدرك تمامًا أن ما بداخلي لا ينعكس على شكلي وسلوكياتي الخارجية".

فارس، مبتسمًا: "بل تعرفين، ولكنك تخافين من البوح بالإجابة".

ليلى معترضة ومتعجبة: "ولماذا أخاف منك"؟!

فارس: "أنت لست خائفة من البوح بالإجابة لي، ولكنك خائفة من البوح لنفسك".

ليلى باعتراض أكثر وضوحًا: "كلا، لست خائفة من البوح بأي شيء لنفسي، أنا بالفعل لا أعرف، هناك العديد من الأفكار في رأسي، ولا أستطيع أن أحدد أي الصفات هي الأكثر تغيراً بداخلي".

فارس محاولًا استيعاب حدة اعتراضها: "حسنًا، لنفرض جدلًا أنها عدة صفات، أخبريني إذًا ما هي تلك الصفات"؟

أحس أنها وجدت في تقبّله لإجابتها بعض الارتياح ثم وجدها تقول: "لم أعد أحب أن أكون الزوجة المطيعة". ثم صمتت بضع ثوانٍ قبل أن تكمل: "لم أعد أطيق خدمتي لزوجي التي استمرت ثمانية عشر عامًا، لم أعد أطيق الروتين اليومي الذي سارت عليه حياتي طوال أجمل سنوات عمري وما زالت تسير عليه حتى الآن، لم أعد أطيق قيامي بتحضير ثلاث وجبات يوميّا لزوجي وفقًا لشروطه وميوله ورغباته، لم أعد أطيق تحكُّم زوجي في كل صغيرة وكبيرة في حياتي تارة بشكل مباشر وأخرى بشكل غير مباشر مستغلًا التقاليد الاجتماعية البالية التي تُلزمني بطاعته". ثم علا صوتها قليلًا وقالت له: "هل تعلم أنه هو الذي يختار أثاث المنزل؟ وديكوراته؟ هل تعلم أنه عندما نكون معًا فهو الذي يحدد أي قنوات التلفاز نشاهد؟ وعندما نخرج معًا فهو الذي يقرر إلى أي الأماكن نذهب؟ وهل تتخيل أنه إذا فكرنا في السفر فهو الذي يختار الوجهة والأنشطة"؟

صمتت قليلًا ففهم فارس أنها أنهت كلامها فقال: "هذا هو حال أغلب الأزواج في مصر وفي الشرق عمومًا، ولكن الغريب أنكما تعيشان في إحدى أكثر المدن انفتاحًا وتحضرًا، ألم يغير ذلك في زوجك شيئًا"؟

ليلى: "إن زوجي لم يتغير مطلقًا. ثم وجدها تضيف ببعض التهكم: إنه يظن أن التغيير رجس من عمل الشيطان؛ ولذلك فقد ظل كما هو، رجل مصري شرقي أصيل، نعيش في منزلنا وفقًا للتقاليد الاجتماعية الشرقية المحافظة، كل ما في الأمر أن باب منزلنا يُفتح على مدينة عصرية في بلد آخر متحضر وليس على مدينتنا المحافظة في بلدنا المتأخر".

صمت فارس ولم يعلق ولكنه أومأ رأسه بما يفيد تفهُّمه لما قالته، ثم وجدها تضيف وكأنها تزيح حجرًا ثقيلًا عن صدرها بشكل تدريجي: "وأيضًا لم أعد أطيق دور الأم الذي أؤديه بشكل متواصل منذ سبعة عشر عامًا، إن الاعتناء بطفلين ثم مراهقين هو مسئولية لا تنتهي، لقد تعبت كثيرًا". قالت جملتها الأخيرة بكثير من الضجر والإحساس الفعلي بالتعب، ثم أضافت: "لقد أرهقت كثيرًا جسديًّا وذهنيًا؛ إرضاع لطفلين وعناية كاملة بهما بشكل متواصل من ملبس ومأكل ونظافة وتعليم وتربية ومتابعة للدراسة ومراقبة للسلوك وللأصدقاء ونصائح وتوجيهات، كل هذا على عاتقي وحدي".

فارس متسائلًا: "ألا يساعدك زوجك"؟

ليلى: "كلا، لا يساعدني مطلقًا؛ لذلك أرادني ربة منزل ورفض قطعيًا فكرة أن أعمل؛ لكي أهتم بكل شئون البيت والأولاد". ثم أضافت: "ولهذا عندما طلبت منه أن يسمح لي بدراسة الأدب الإنجليزي في

الجامعة المفتوحة كان شرطه ألا يؤثر ذلك على رعايتي للبيت والأولاد مطلقًا، لدرجة أنه طلب مني أن أوزع المواد الدراسية على ست سنوات بدلًا من أربع لكي يكون الوقت المخصص للدراسة أقل ما يمكن. "

فارس: "ولكنني أرى جانبًا إيجابيًا متفهمًا في زوجك".

ليلى متعجبة: "وما هو ذلك الجانب"؟!

فارس: "لقد تركك تأتين إلى هنا وحدك، ورجلٌ بالعقلية التي تصفين يصعب عليه كثيراً اتخاذ قرار كهذا".

ليلى مبتسمة: "هل تصدق أن هذه هي أول مرة أسافر فيها وحدي؟ ليس فقط منذ زواجي، ولكن منذ أن جئت إلى هذه الدنيا"!

فارس متعجبًا: "حقًّا"؟!

ليلى: "نعم، أنا لم أسافر وحدي مطلقًا قبل هذه الرحلة، فقبل زواجي لم يكن مسموحًا لي بالسفر إلا مع عائلتي، أما بعد الزواج فكل رحلاتي كانت مع زوجي، ثم بعد أن أنجبنا الأولاد أصبحت رحلاتي معه ومع أبنائنا".

فارس متسائلًا: "وما الذي جَدَّ حتى سمح لك بالسفر وحدك في هذه الرحلة"؟

ليلى: "لقد كان اتفاقًا قديمًا معه؛ فعندما التحقت ببرنامج الأدب الإنجليزي قبل ست سنوات قال لي أنني لن أتمكن من إنهاء البرنامج للحصول على الدرجة الجامعية، وتوقع أني سأصاب بالتعب أو الملل بعد عدة أشهر أو بعد عام على الأكثر، فقلت له "حسنًا ولكنني إن نجحت وحصلت على الدرجة الجامعية فسوف أسافر وحدي لمدة أسبوع إلى مكان من اختياري على أن تقوم أنت بسداد التكاليف"، فوافق بسخرية، وبعد أن أنهيت دراستي منذ بضعة أسابيع ذكَّرته باتفاقنا فلم يعترض ولكنه اشترط ترتيب شئون البيت والأولاد".

فارس، مبتسمًا ومتجاهلًا جملتها الأخيرة: "حسنًا، من الجيد أنه أوفى بوعده وتركك لمدة أسبوع".

ليلى: "نعم، ومن حظي الجيد أن أخته كانت في زيارة إلى لندن ووافقت على أن تعتني به وبالبيت والأولاد طوال هذا الأسبوع".

فارس: "ولكن أولادك لا يحتاجون إلى ذلك النوع من الرعاية المتواصلة؛ فعمراهما يسمحان لهما بالاعتماد على نفسيهما إلى حد كبير".

ليلى: "نعم، هذا صحيح، كما أنهما أيضًا عاقلين ويحسنان التصرف، إلا أن زوجي ما إن ذكَّرته بموضوع هذه الرحلة واتفاقنا القديم حتى أخذ يطرح أسئلة من نوعية: ومن الذي سيعتني بالأولاد؟ ومن الذي سيقوم بإعداد الطعام؟ والاهتمام بتنظيف البيت؟

والملابس؟... إلخ، ومن حسن حظي أن أخته كانت في زيارة إلى لندن وعرضت مشكورة الاهتمام بالبيت والأولاد".

فارس، مبتسمًا: "أعتقد أن ذلك من حسن حظي أنا أيضًا".

ليلى ضاحكة: "ربما نعم وربما لا".

فارس ضاحكًا: "سنعرف". ثم سألها: "وما هي الأمور الأخرى التي أصبحتِ ترفضينها بالإضافة إلى أنك تعبت من كونك زوجة مطيعة لزوجك المحافظ الذي يعشق السيطرة عليكِ، وأمًّا متفانية في خدمة أولادها"؟

ليلى بصوت منخفض ناظرةً إلى الأرض ومتجنبةً النظر إلى فارس ومتحاشيةً أن تلتقي عيناهما: "لم أعد أطيق إعطاء زوجي حقوقه الزوجية. قالت الجملة بسرعة وكأنها تريد إزاحتها عن صدرها بأسرع وقت ممكن".

تفهّم فارس إحراجها ولم يشأ التعقيب تجنبًا لمزيد من الإحراج لزوجة شرقية تعلّق على أحد أكثر موضوعات حياتها الشخصية حساسية، كان يعرف أنها بكلامها هذا كسرت تابوهًا محرّمًا، أحس أنها أصيبت بنوع من الصدمة بعد إنهائها لجملتها، شعر بحالة من انعدام الوزن لديها، ثم قالت ما فَهِم منه أنها تحاول عن طريقه تغيير الموضوع وتجنب الاسترسال في هذه النقطة.

ليلى: "بـشكل عام لم أعد أطيق أن أعيـش في لندن في الألفية الجديدة بعقلية القاهرة في عشـرينات القرن الماضي".

تفهّم فـارس رغبتهـا في تغيـير الموضـوع فتماشـى معهـا خصوصًـا وأن رسالتها قد وصلت.

فارس، مبتـسمًا: "حسنًا، أكملي، ما هي الأمور الأخـرى بداخلك والتـي تـشبه لنـدن في الألفيـة الجديـدة وتختلـف عـن مظهـرك الخـارجي المنتمـي إلى القاهرة في عشـرينات القرن الماضي"؟

ليلى بابتـسامة باهتة: "الكثير والكثير، مثلًا لم أعد أطيق الحجاب".

فارس متـسائلًا في دهشة: "حجاب! ولكنني أرى أنك غير مُحجبة"!

ليلى: "بلى، أنا مُحجبة منذ زواجي، فقد كان ذلك أحد شـروط زوجـي التـي جعل زواجنا مرتبطًا بالتزامـي بها، ولكنني قررت ألا التزم بـه في هذه الرحلة؛ لذلك فقد نزعت غطاء الرأس (الطـرحة) منذ أن دخلـت الطائرة المتجهة من لندن إلى هنا".

فارس وما زالت على وجهه علامات الاندهاش: "حسنًا"!

ثم وجدها تـسترسل: "ولم أعد أطيق أصدقائي، وكذلك نمـط حياتـي، وطاعتـي المستمرة لرجـال الـدين، وأيضًـا أبـي الـذي لا يـزال يمـارس سـيطـرته على حياتـي حتى الآن".

فارس: "كيف يسيطر عليك والدك وأنتِ متزوجة"؟

ليلى: "إنها أفكاره وآراؤه وتعليماته ومبادئه التي غرسها بداخلي، وقسوته التي كان يعاملني بها ومَحَا عن طريقها شخصيتي".

فارس: "حسنًا، لا تأخذي رأيه، حاولي أن تتصرفي وفقًا لما ترينه أنت".

ليلى: "أنا لا أخذ رأيه أو أستشيره؛ فقد مات منذ عشرة أعوام. ولكنه وإن كان قد فارق الدنيا فهو لم يفارق رأسي أبدًا، وطيفه لا يزال يحوم حولي كلما هممت باتخاذ قرار وصوته يرن في أذني كلما فكرت في الخروج على هذا النمط من الحياة الذي أصبحت رافضة له تمامًا".

فارس، مبتسمًا وبهدوء: "الآن فقط عرفت الإجابة عن سؤالي".

ليلى ببعض التعجب: "ماذا تقصد"؟!

فارس: "السؤال الذي سألته لك وسألتِه لي قبل ذلك: كيف يختلف ظاهرك عما هو بداخلك؟ وما هي أكثر صفة تغيرت بداخلك"؟

ليلى: "لقد ذكرت لك عدة صفات، ولكنني كما قلت لك لا أستطيع أن أحدد أكثر صفة تغيرت".

فارس وهو يتنهد: "يا ليلى، إن الأمر ليس مجرد صفات تغيرت، لقد تغيرت أنتِ بالكامل، ومن حديثك يبدو أن "ليلي" السابقة لم تعد بداخلك الآن". ثم أضاف: "أنت الآن تسيرين في الحياة بخاصية القصور الذاتي، تفعلين ما كنت تقومين به منذ سنوات ولكن دون الإحساس به، تتحركين بشكل روتيني دون روح، أنت حاليًا جسد ليلى القديمة وهيئتها ولكن روحك اختلفت، ربما لم تأخذ بعدُ نمطًا وهيئة جديدة إلا أنني أحس بها في طور التشكيل".

ليلى متعجبة: "لا أعرف، ربما نعم وربما هي أزمة، مجرد أزمة وستنتهي".

فارس: "نعم ربما هي أزمة وستنتهي، ولكن أخبريني منذ متى تشعرين بكل هذا الرفض لما أنت فيه"؟

ليلى: "منذ سنوات، لقد بدأت أشعر بذلك منذ سنوات وأخذت تلك المشاعر تزداد تدريجيًا".

فارس: "وهل تفتقدين ليلى القديمة؟ هل تفتقدين مشاعرك القديمة منذ خمسة أعوام؟ أو عشرة؟ أو خمسة عشر عامًا"؟

ليلى: "الحقيقة لا، لا أفتقدها، ربما أتذكَّرها من آنٍ لآخر ولكنني لا أفتقدها، ولا أتمنى عودتها".

فارس: "إذًا هي ليست أزمة يا ليلى، الأمر ببساطة أنك تغيرتِ، لم تعودي داخليًا كما كنتِ، وبمعنى آخر، لقد ذهبت ليلى القديمة، غادرت منذ فترة، ولكن هل تعرفين ما هي المشكلة الحقيقية من وجهة نظري"؟

ليلى بتعجب: "ما هي"؟!

فارس: "إن ليلى القديمة رحلت ولكن ليلى الجديدة لم تأتِ بعد؛ فقد رحلت ليلى القديمة بأحاسيسها ومشاعرها وأفكارها ومبادئها وانفعالاتها وتركت مكانها فارغًا؛ لأن ليلى الجديدة ما زالت في طور التكوين".

ليلى بصوت منخفض: "ربما... ربما". ثم وقفت قائلة: "أريد أن أمشي قليلًا، لقد مللت من الجلوس".

أحس فارس أنه ربما يكون قد ضايقها بكلامه فقال: أعتذر إن كان كلامي قد أزعجك.

ليلى: "كلا لم يضايقني كلامك، ولكنني منزعجة من الحالة التي وصلتُ إليها".

obeikandl.com

ثم بعد أن سارا عدة خطوات معًا وجدها تقول له: "هل من الممكن أن نمشي قليلًا دون كلام؟ أريد أن أفكر وحدي ولكن لا تتركني لأنني لا أريد أن أكون وحيدةً في حالتي هذه".

فارس، مبتسمًا: "بالتأكيد، كما ترغبين، سنمشي معًا في صمت". ثم أضاف مازحًا: "وسأستغل وقت الصمت هذا في مشاهدة معالم الجمال المحيطة بنا من كل جانب والتي جذبني حوارنا بعيدًا عنها".

شاهدها تبتسم له وترمقه بنظرة بها تقدير وحنان ثم سمعها تقول له: "شكرًا لتفهّمك".

عبَرا الطريق ليصبحا بمحاذاة النهر ثم سارا متجاورين بخطوات بطيئة لنحو ربع ساعة دون أن ينطق أي منهما ببنت شفة، بدا لهما الصمت وكأنه درع يحول بين كل منهما وبين مجهول قادم لا يعرفه ولا يألفه.

مع الوقت كان قد نما عند فارس – بالتدريج - يقين أن هناك شيئًا ما يربط بينه وبين ليلى، وأن علاقتهما التي بدأت بالكاد منذ نحو ساعة أو يزيد قليلًا قد وُجدت لتبقى وتستمر، أصبح مقتنعًا بأنها لن تكون نزوة أو علاقة لتمضية وقت فراغ أو مجرد ساعة من حوار وفضفضة في ليلة هادئة، بدأ يسأل نفسه عن كيفية الاستمرار والتواصل مع ليلى بعد أن يودع أحدهما الآخر في هذه الليلة، كما قام

ذهنه بترتيبات لكيفية استمرارها في حياته بعد افتراقهما وعودة كل منهما إلى حيث يقطن.

استعرض في ذهنه أوجه التشابه بينهما ليبرر لنفسه رغبته في الاحتفاظ بتلك العلاقة الجديدة معها، ولكنه كان يدرك في قرارة نفسه أنه يريد الاحتفاظ بليلى فقط لأنه يريد الاحتفاظ بها، كان هذا هو السبب الحقيقي الوحيد، لم يعرف كيف أو لماذا ولكنه عرف فقط أنه يريدها أن تكون معه فيما هو قادم من حياته؛ فهو لم يفتح قلبه لأحد بهذا الشكل من قبل، ولم يهتم بأن يستمع لتفاصيل حياة وأفكار ومشاعر شخص بهذا القدر من قبل، ولم يحس برابط كهذا مع أحد من قبل.

أخذ يفكر في كيفية ابتكار طريقة ما تتواجد عن طريقها في حياته، كما تَحاوَرَ مع نفسه محاولًا تحديد طبيعة مشاعره نحوها آخذًا في الاعتبار ظروفها كزوجة وأم وأيضًا آخذًا في الاعتبار أنه يفصل ما بين مكانَي إقامتهما عدة آلاف من الأميال.

عندها كان قد تشكَّل لديه اقتناع غير معلوم المصدر بأنها ظهرت في حياته لتُغيرها، أحس من أعماق قلبه بأنها هدية من السماء لكي تنقله خارج حدود حياته الحالية، شعر بأنها جاءت إليه لكي تنهي حالة صراعه الدائم مع نفسه والذي استمر سنوات وسنوات، رآها على أنها رسالة من الكون له منبئةً ببدء فصل جديد من كتاب حياته.

وبينما هما يسيران متجاورين كان فارس يسترق نظرات إلى ليلى، راوده إحساس أنها تحاول أن تجمع شتات نفسها ومشاعرها وأفكارها، حاول أن يضع نفسه مكانها فأحس بأنها مقسمة عدة أجزاء، جزء في القاهرة يحاول الاحتفاظ بالماضي وعاداته وتقاليده وأحكامه، وجزء داخل بيتها في لندن يتماهى مع ذلك الموجود في القاهرة وأيضًا يتمسك بأسرتها الصغيرة المكونة من زوج مخلص لم يخطئ في حقها وفقًا للتقاليد الشرقية وولدين يمثلان ثمرة كفاح أفضل سنوات عمرها، وجزء ثالث خارج حدود منزلها في لندن يتوق للحرية ويرفض أن تستمر حياتها بهذا الشكل المزدوج الذي يختلف ظاهره عن باطنه، وجزء رابع في ڤيينا يرفض الماضي وسيطرة العادات وقيود الأسرة ويحب الحرية وأيضًا يتطلع للمستقبل، ذلك المستقبل الذي يمثل مجهولًا تحاول تجنب التفكير فيه حيث إنها كلما فكرت فيه تظهر بداخله ومضات لهذا الشخص الجديد في حياتها: "فارس". راود فارس إحساس أنها ربما أصيبت بالرعب من أفكارها وتحاول استخدام ذلك الصمت كدرع يحميها من الكلام عن المستقبل؛ حيث لم تجد لنفسها طريقة تبرر بها كيفية وجوده في حياتها المستقبلية.

حاول أن يلوذ بالصمت أطول فترة ممكنة، وسره أنها كانت تلوذ بالصمت هي الأخرى، استمرا في السير إلى أن وصلا إلى مفترق طرق، عندها توقَّفا بشكل تلقائي عند التقاء الطريق

المحاذي للنهر بأحد الجسور، كان أمامهما عدة خيارات: أن يعودا أدراجهما مباشرة من حيث أتيا، أو أن ينعطفا مع الجسر ليعبرا إلى الجانب الآخر حيث تمثل نقطة نهاية الجسر والتقائه مع الطرف الآخر نقطة موازية لنقطة تعارفهما وبدء حوارهما، كما كان أمامهما بديلان آخران: إما أن يواصلا السير في طريقهما، أو ينعطفا يسارًا في الاتجاه المقابل للجسر حيث شاهدا منطقة للمشاة فقط بها عدة مقاهٍ وحانات ما زالت تعمل حتى هذا الوقت كما لاحظا وجود بعض المرتادين بها.

لم يتحركا معًا بشكل تلقائي إلى أي من تلك الاتجاهات الأربعة، كما لم يحاول فارس أن يتحرك في أي من تلك الاتجاهات مصطحبًا ليلى معه. فقط توقف وأخذ ينظر في جميع الاتجاهات وهي تنظر معه دون كلام بينهما، وبعد نحو دقيقتين أخريين من الصمت سألها فارس: "كيف تريدين مواصلة السير"؟

ليلى: "لا أعرف".

فارس: "من الممكن أن نعود أدراجنا من نفس الطريق".

ليلى باعتراض وحسم: "أنا بالتأكيد لا أريد أن أعود من نفس الطريق".

فارس: "ماذا تريدين إذًا"؟

ليلى: "فلنقف هنا قليلًا ثم نقرر لاحقًا".

فارس: "حسنًا، لنقف هنا". ثم صمت لنحو ثانيتين قبل أن يسألها: "فيم تفكرين يا ليلى"؟

ليلى: "الكثير والكثير من الأمور، وماذا عنك؟ فيم تفكر"؟

فارس، مبتسمًا: "أيضًا في الكثير والكثير من الأمور".

ليلى: "ما هي تلك الأمور"؟

أدرك فارس أنها تبادره بالسؤال لكي تتجنب أن يسألها هو أولًا، فقال مبتسمًا وكأنه فهم ما تحاول فعله: "أفكر في حياتي، في الإسكندرية، في أبي وأمي، في عملي، وفيكِ أنت".

ليلى متسائلة في تعجّب: "فيّ أنا"؟!

فارس: "أجل".

ليلى: "وما هي طبيعة هذا التفكير"؟

فارس: "في التشابه الموجود بيننا وفي كيفية استمرار صداقتنا".

ليلى متعجبة: "صداقتنا؟! استمرار؟! لقد افترضت أن بيننا صداقة ثم تفكر الآن في كيفية استمرارها دون حتى أن تسألني"!

obeikandi.com

فارس ضاحكًا ضحكة خفيفة: "حسنًا، ماذا تُطلقين على ما بيننا؟ وهل تريدين استمراره أم لا"؟

ليلى: "لا أعرف ما الذي أطلقه على ما بيننا، ولا أعرف إن كان يحق لي أن أستمر فيه أم لا".

فارس: "كيف هذا؟! أنت من يحدد هل تريدين الاستمرار أم لا".

ليلى: "ربما يكون من حقي أن أتمنى استمراره أم لا، هذا فقط ما يمكن أن يكون من حقي: التمني. أما القرار الفعلي بالاستمرار من عدمه فليس من حقي".

فارس بنبرة اعتراض: "من حق من إذًا ذلك القرار الفعلي"؟

ليلى: "من حق زوجي وعائلتي، وتقاليدنا وعاداتنا، وتعاليم ومواعظ رجال الدين عندنا، هل نسيت يا فارس"؟!

فارس: "لنبدأ أولًا بتسمية ما بيننا، أنا أطلقت عليه صداقة، فهل توافقين على ذلك"؟

ليلى، وقد لاحظ عليها التردد: "ربما، ربما تكون بداية صداقة".

فارس: "هذا جيد، والآن ننتقل للنقطة التالية، لماذا يكون القرار الفعلي لصداقاتك ليس في يدك"؟

ليلى: "لأنني امرأة متزوجة وهذه هي عاداتنا الشرقية".

فارس: "هل هذا كلام ليلى القديمة"؟

ليلى بتلعثم: "هذا كلام ليلى المصرية المتزوجة".

فارس: "حسنًا، هل هذا كلام ليلى المصرية المتزوجة القديمة أم الحديثة"؟

ليلى، وقد لاحظ على وجهها علامات التعجب: "ماذا تريد"؟!

فارس: "ماذا تريدين أنتِ؟ هل تريدين أن نفترق الآن لترتاح ليلى القديمة"؟

ليلى: "هذا آخر شيء أريده، ولكنني أذكِّرك وأذكِّر نفسي بأنني متزوجة وبأن لي حدودًا".

فارس: "لم ينسَ أيّ منا ذلك، لاحظي أننا لم نفعل شيئًا سوى الكلام".

ليلى: " حسنًا. ثم أشاحت بنظرها بعيدًا عنه وعدلت من وقفتها لتصبح مواجهة للنهر".

فارس: "هل لديك مانع في أن أفكر في كيفية استمرار صداقتنا؟ ثم اعتدل ليصبح مواجهًا للنهر هو أيضًا".

ليلى: "ولكنني أقيم على بعد آلاف الأميال منك".

فارس: "الصداقة لا تتطلب أن يرى بعضنا بعضًا يوميّا؛ فهناك الهواتف الأرضية، والهواتف المحمولة، والبريد الإلكتروني، ومواقع التواصل الاجتماعي، هناك الكثير من الحلول".

ليلى: "حسنًا، لنحاول".

فارس: "هل من الممكن أن أحصل على رقم هاتفك"؟

أخذ منها رقم هاتفها وأعطاها رقم هاتفه ثم سمعها تقول له: "انتبه، فأنت ستستخدمه قريبًا جدًّا"!

فارس بتعجّب: "لماذا؟! فأنتِ ما زلتِ معي هنا".

ليلى: "إن رحلتي في ڤيينا على وشك الانتهاء، وستُقلع طائرتي إلى لندن في التاسعة صباحًا".

فارس متعجبًا وبعد أن اتجه ببصره إليها واعتدل في وقفته بحيث يصبح مواجهًا لها: "التاسعة صباحًا؟! أي إن أمامنا أقل من ثماني ساعات".

obeikandi.com

ليلى مبتسمة: "بل أقل من خمس ساعات، وذلك على أقصى تقدير، فأنا لا بد أن أعود إلى الفندق وأجهز حقائبي وأستعد للسفر قبل أن أذهب إلى المطار".

فارس: "حسنًا، أي إن أمامنا أقل من خمس ساعات، لنحاول أن نجعلها مميزة".

ليلى: "فيم تفكر"؟

فارس: "حاليّا أفكر في متابعة حوارنا وأيضًا متابعة سيرنا، فالوقوف لفترة طويلة جعلني أشعر ببعض الملل".

ليلى: "أوافقك الرأي تمامًا".

فارس: "في أي اتجاه تريدين أن نسير"؟

ليلى: "أنا استبعدت أن نعود أدراجنا وأفضِّل ألا نعبر الجسر؛ حيث إن ذلك ربما سيعيدنا بشكل غير مباشر إلى مكان لقائنا الأول".

فارس: "هذا إذا عبرنا الجسر ثم سرنا في محاذاة النهر يمينًا، ولكننا نستطيع أن نسير يسارًا بعد عبور الجسر".

ليلى: "أنا أفضِّل أن نذهب إلى اتجاه أو مكان جديد تمامًا، ليس به احتمالية أن نعود أدراجنا، اختر أنت وأنا معك".

obeikandl.com

فارس وهو يشير إلى حيث منطقة المطاعم والمقاهي: "أقترح أن ننعطف يسارًا حيث المنطقة المخصصة للمشاة فقط، سنجد هناك العديد من الأماكن التي يمكننا الجلوس فيها ومتابعة حوارنا".

ليلى: "يبدو لي اقتراحًا جيدًا، وهذه فرصة لأفعل معك شيئًا جديدًا، فأنا مررت على هذه المنطقة منذ عدة أيام ولكنني لم أجلس في أي من المقاهي أو المطاعم هناك".

فارس: "وأنا أيضًا مررت عليها دون جلوس".

ثم عبرا الطريق معًا وسارا في اتجاه تلك المنطقة.

كانت تلك المنطقة تمثِّل ما يشبه القلب الليلي النابض للحي المحيط بها؛ فحين كانت كل المحلات وأماكن تناول الأطعمة والمشروبات في الحي مغلقة في هذا الوقت من الليل كانت تلك المنطقة تضج بالحركة والحياة والناس، كان المشهد العام يتضمن العشرات من البشر - بدا على هيئة معظمهم أنهم من السياح - إما يتحركون مشيًا بهدوء أو يجلسون على طاولات المقاهي والمطاعم والبارات، البعض صامتون والبعض الآخر يتحاورون همسًا ما خلا من بعض الضحكات العالية نسبيًا.

بعد أن وصلا إلى هناك، أخذ فارس يجول ببصره متنقلًا بين المطاعم والمقاهي والبارات الموجودة في المنطقة، ثم سألها: "هل تفضلين الجلوس في مكان محدد"؟

ليلى: "أقترح أن نجلس على ذلك المقهى. وأشارت بيدها إلى أحد المقاهي التي تنتمي لسلسلة مقاهٍ أمريكية معروفة".

سارا معًا حتى وصلا إلى ذلك المقهى، اختارت هي قهوة أمريكية بدون سكر أو حليب، في حين اختار هو قهوة الإسبرسو ووضع عليها بعض السكر، ثم جلسا على إحدى الطاولات.

فارس: "إن هذه الحياة غريبة وعجيبة".

ليلى: "هذا صحيح، ولكن ما الذي جعلك تقول ذلك الآن"؟

فارس: "أنا مصري سكندري وأنتِ مصرية قاهرية تعيشين في لندن، نجلس معًا في أحد المقاهي الأمريكية في مدينة ڤيينا النمساوية"!

ليلى مبتسمة: "نعم، وأنا أشرب قهوة أمريكية في حين أنك تشرب الإسبرسو ذات الأصل الإيطالي"!

فارس: "إن العالم أصبح قرية صغيرة".

ليلى: "نعم، وكأن المسافات تزداد قربًا مع الوقت".

فارس: "ليست المسافات فقط، ولكن الأفكار والثقافات كذلك".

ليلى: "في كثير من الأحيان ينتابني الإحساس بأن الثقافات والأفكار قد تقاربت، إلا أنني في أحيان أخرى أحس أن كل شخص عبارة عن جزيرة منعزلة".

فارس: "هل تتحدثين عن الناس عمومًا؟ أم عن ليلى تحديدًا"؟

ليلى مبتسمة: "عن الناس عمومًا وأيضًا عني تحديدًا؛ فقد أصبحت أشعر بأنني جزيرة منعزلة عمن هم حولي؛ فمشاعري وأفكاري وانفعالاتي وأحاسيسي لا يعلمها إلا أنا ولا يعرفها حتى أقرب الناس إليّ؛ فكل يوم أنام بجوار زوجي على الوسادة وهو لا يعلم أنني لم أعد أطيق الحياة معه، وكل ليلة وفي الوقت الذي يأخذ فيه كل ما يريده مني لا يشعر بأنني أصاب بالاشمئزاز منه ولا يحس بأنني لا أطيق لمسته، أما ولداي فهما يشعران بمدى حبي لهما إلا أنهما لا يشعران بأنني لا أرغب في خدمتهما بعد اليوم". ثم تنهدت قائلة: "هؤلاء هم أقرب الناس إليّ ولا يحسون بما يجيش بداخلي من مشاعر".

فارس: "ربما لأنك تجيدين إخفاء ما هو بداخلك".

ليلى: "ربما، وربما لأنهم لا يبالون، ربما هم يعتبرون وجودي معهم من المُسلمات؛ فزوجي يعتبر خدمتي له من المُسلمات وإعطاءه ما

يريد من علاقة جسدية من المُسلمات، وأولادي يعتبرون خدمتي لهما وعنايتي بهما من المُسلمات أيضًا، لا أحد يفكر أو يهتم بما أشعر به".

فارس: "وهل فكرت يومًا في إخبارهم بما تشعرين به".

ليلى: "وفقًا لتقاليدنا وعاداتنا الشرقية، إخباري لهم بحقيقة مشاعري نحوهم ونحو تصرفاتهم يُعتبر هدمًا للعائلة، زوجي سيعتبرني ناشزًا وسيطلقني، وأولادي سيبتعدون عني على الأقل عاطفيًا".

فارس: "وماذا عنك أنت؟ ما الذي تريدينه"؟

ليلى: "لا أعرف... لا أدري..."

فارس: "من الواضح أنك لا تريدين استمرار حياتك كما هي، هل هذا صحيح"؟

ليلى: "أنا لا أريد أن أحطم أسرتي و..."

قاطعها فارس قائلًا: "أنا أسألك أنت، هل تريدين استمرار حياتك كما هي"؟

ليلى: "بالطبع لا، بالتأكيد كلا ولكنني لا أريد أن أكون أنانية".

فارس: "وأين الأنانية في أن تختاري لنفسك ما تريدين"؟

obeikandl.com

ليلى: "وما هو ذنب زوجي؟ هو يعاملني بشكل جيد، زوج ملتزم لم يقم بخيانتي يومًا ولم يُقصر في حقي وحق أولادي، أنا التي قبلته زوجًا وإن كان تحت ضغط أبي، وأنا التي اخترت الاستمرار معه حتى اليوم. ما هو ذنبه في أنني تغيرت؟! ما هو ذنبه في أنني أصبحت لا أطيقه؟! هو لم يتغير إنما أنا التي تغيرت".

صمت فارس ولم يعلّق، إلا أنه وجدها تتابع: "ما هو ذنب أولادي في أنني أصبحت لا أريد أن أكون أمًّا تقليدية؟! ما هو ذنبهم أنني أصبحت فجأة لا أحب والدهم ولا أستسيغ مجرد التواجد بقربه"؟!

فارس: "وما هو ذنبك أن تعيشي حياة ليست حياتك؟! هل تظنين أنك من الممكن أن تجعليهم سعداء في حين أنك حزينة؟ هل تظنين بأنك من الممكن أن تربي أولادًا أسوياء في حين أنك تشعرين بخواء داخلك؟ أما زوجك فإن كان لا يشعر بك فهو لا يستحقك".

ليلى: "أنا في حيرة من أمري منذ فترة طويلة، لا تُصعِّب الأمور عليّ".

فارس: "أنا لا أصعِّب شيئًا، أنا فقط أطلب منك أن تفكري في الموضوع من أكثر من زاوية".

ليلى: "لقد تعبت من التفكير ولم أصل إلى نتيجة".

فارس: "النتيجة الوحيدة المنطقية هي أن تعودي إنسانًا واحدًا من جديد".

ليلى بتعجب: "إنسانًا واحدًا"؟!

فارس: "نعم، أن تكون هناك ليلى واحدة، ليست ليلى القديمة أو ليلى الجديدة؛ ليلى واحدة فقط، لا بد أن تتصالحي مع نفسك، لا يمكن أن يكون هناك ليلى ظاهرية وأخرى خفية، لا يمكن أن تؤدي في حياتك دورًا كتبه الآخرون لك".

ليلى: "هل تتكلم عني أم عن نفسك"؟!

فارس: "ماذا تقصدين"؟

ليلى: "لا تنسَ أنك أيضًا تعيش حياتين، فلماذا لم تفكر في إصلاح وضعك"؟

فارس متلعثمًا: "أنا حاولت... أحاول..."

ليلى: "أنت لم تحاول إلا في مجال واحد فقط وقد خدمتك الظروف فيه، أما غير ذلك فأنت تعيش حياتين أيضًا؛ أنت لا تستطيع الاعتراض على شيء في حياتك؛ كلام والديك، رجال دينك، السلطات عندك، قوانين مجتمعك، كل هؤلاء يحددون لك كيف تفكر وما هو مسموح لك أن تفعله وما هو غير مسموح لك أن تقوم به، لماذا لم

تتمرد؟ لماذا لا تحاول أن تعلن أفكارك؟ لماذا تخفي تصرفاتك التي تعلم أنهم سيعترضون عليها؟ لماذا تخفي مثلًا أنك تشرب الخمر؟ توقف عن انتقادي؛ لأن حالك مثل حالي"!

فارس: "أنا لا أنتقدك، أنا أحاول تشجيعك. ثم صمت لثوانٍ قبل أن يضيف وربما أشجع نفسي معك".

ليلى: "عفوًا، لم أقصد الانفعال عليك، ولكنني بالفعل متوترة".

فارس: "لا داعي للاعتذار، فأنا أيضًا متوتر، وكل كلمة كنت أقولها ليست فقط لك ولكن لنفسي أيضًا، لم أكن أحاول فقط أن أشجعك ولكنني كنت أحاول أن أشجع نفسي معك لعلِّي أتوقف عن كوني مترددًا يعيش حياتين".

ليلى، بعد أن شاهدها ترتشف قليلًا من قهوتها: "ما الذي تريدني أن أفعله"؟

فارس بعد أن ارتشف قليلًا من الإسبرسو: "أريدك أن تكوني نفسك"!

ليلى: "وماذا عنك"؟!

فارس: "ما الذي تقصدينه"؟

ليلى: "لماذا أنت أيضًا لا تكون نفسك"؟!

فارس: "سأحاول ولكن بشرط أن تساعديني".

ليلى: "سأساعدك بشرط أن تساعدني أنت أيضًا".

فارس: "حسنًا ليساعد بعضنا بعضًا على أن يكون كلٌّ منا نفسه ونتوقف عن الحياة المزدوجة".

ليلى بهدوء وهي ترتشف آخر ما في فنجانها من القهوة الأمريكية: "كلام جميل، ولكن كيف"؟!

فارس: "أقترح أولًا أن يبدأ كلٌّ منا في مساعدة الآخر على تحديد أول خطوة ثم بعد ذلك يساعده في تنفيذها".

ليلى: "اقتراح منطقي". ثم أضافت بصوت منخفض به بعض خيبة الأمل: "ولكن كيف ونحن على بُعد آلاف الأميال عن بعضنا"؟!

فارس بصوت به حسم: "دعينا نحاول أن نكون إيجابيين، لنحدد أولًا الخطوة الأولى المطلوبة من كل منا، ثم بعد ذلك نبحث كيف سيساعد كل منّا الآخر".

ليلى: "حسنًا، ولكن لنبدأ بك أنت أولًا".

فارس: "موافق، في رأيك ما هي الخطوة الأولى التـي ينبغـي أن أقـوم بها لكي أتوقف عن أن يكون لي حياتـان"؟

ليلى: "أن تواجه أباك وأمك بـرأيك الحقيقي"؟

فارس متلعثمًا متـرددًا: "أواجههما... رأيي الحقيقي..."

ليلى، وقد سمع في صوتها نبرةً يمتزج فيها الهـدوء مـع الحسـم: "هـذه هي مشكلتك الأولى، وفي رأيي هـي السـبب الأساسـي الـذي بـسببه تحيا حياتـين. ثم أضافت بصوت أكثر هدوءًا وبنفس الحسم: لا بـد أن تواجههما بحقيقة رأيك في نصائحهما وفي تـربـيتهما لك وفي تـدخلاتهما في كل كبـيرة وصغيرة في حياتك، وفي تنمـيتهما إحساس وسلوك الطاعة لديك والذي انقلب إلى جـبن وخـوف، ليـس مـنهما فقـط ولكـن مـن الجمـيع ومن الحياة نفسها مع مرور الوقت".

فارس: "ربما يكون تحليلك صحيحًا، ولكن هذه خطوة شـبه مسـتحيلة بالنسبة لي؛ فكما قلت لك هما في أواخـر أيامهما وعلى أعتاب الثمانين ويعتقدان أنهما أفضل أب وأم في العالم، وما تطلبـينه سـيكون بمثابـة طعنة لهما في قلبـيهما".

ليلى: "أنني لم أطلب منك أن تطعنهما في قلبـيهما، كـل مـا طلبتـه أن تواجههما بالحقيقة في أنهما السبب فيما أنـت فيـه مـن ضـياع فكـري وخواء روحي وحيرة بـين حياتـين متناقضتـين".

فارس: "ولكن..."

وجدها تقاطعه قائلة: "ولكن ماذا؟! أنت في حاجة إلى ذلك، لن تشعر بالتحرر فكريًّا وروحيًّا قبل أن تحل هذه العقدة وتلغيها من حياتك، إن هذه العقدة هي أصل كل عقدك وهي البذرة التي أنبتت شجرة الاستسلام في حياتك والتي تسميها أنت الطاعة، ثم أثمرت في النهاية شخصًا يريد أن يحيا حياته بصورة معينة ولكنه يخاف من الجميع فيخفيها، ويظهر بصورة أخرى ولكنها صورة يخاف هو منها".

فارس: "سأحاول أن..."

ليلى: "المحاولة لا تكفي، لا بد أن تقرر وتواجههما. رتِّب أفكارك وكلامك وما تريد قوله، لا تجعل خوفك منهما ومن التقاليد والعادات الاجتماعية وكلام رجال الدين يثنيك عما تريد قوله، فأنت لن تقول سوى الحقيقة في النهاية ولن تتجنى على أحد. بالتأكيد كانت نيتهما صادقة وصافية كأي أب وأم يحبان أولادهما، ولكن طريقتهما والنتيجة النهائية لتلك الطريقة كانت كارثية".

توقف فارس قليلًا عند تلك الجملة، عاد بذاكرته إلى الوراء، تذكَّر عدة مواقف وأحداث ربما بدت له الآن قليلة الأهمية وربما بدت في نظر والديه وقتها تافهة، إلا أنه يتذكرها بحذافيرها، يتذكرها

وكأن كل تفصيلة منها حُفرت داخل وجدانه وعقله، يتذكرها كما لو كان يعيشها الآن وفي هذه اللحظة بشكل فعلي.

تذكَّر كيف كان صوتهما المرتفع عند كل خطأ يرتكبه يصيبه بالخوف، لدرجة أنه تبول على نفسه في إحدى تلك المرات التي أنَّبه فيها والده على أحد أخطائه وذلك عندما أفقده الصوتُ العالي لأبيه قدرتَه على التحكم في نفسه، استعاد بذهنه كيف كانت انتقاداتهما المستمرة والدائمة لكل تصرفاته تخلق عنده الرغبة في تجنب فعل أي شيء لكي يتجنب الانتقاد، تذكَّر كيف أحالت شجاراتهما المستمرة - وعلى أتفه الأسباب - طفولَتَه إلى أيام متتالية من الحزن والتوتر، استحضر تدخلاتهما المستمرة -والتي كانت لا تكاد تنتهي -في حياته واختياراته وقراراته والتي جعلته دائمًا تحت ضغط عصبي ونفسي مستمر شاعرًا بالاختناق والعجز إن أطاعهما وشاعرًا بالذنب والخوف إن فكر في عدم طاعتهما.

ثم قال فارس وبنبرة صوت بها اقتناع: "حسنًا، ولكني أولًا سأوضح لهما أنني لا أشكك في مدى حبهما لي وصدق نيتهما، ثم سأقول لهما إنهما السبب فيما أنا فيه، وسأقول لهما إنهما أنبتا في داخلي خوفًا واستسلامًا وعدم قدرة على المواجهة؛ مما أدى بي إلى ما أنا فيه".

ليلى: "هل ستفعل هذا بالفعل؟ أم أنك تقول ذلك فقط لتتخلص من ضغطي عليك"؟

فارس: "نعم سأفعله وفور أن أعود إلى الإسكندرية، ولكنني سأختار كلماتي وأرتبها بحرص، أريد أن يصل معنى الكلام لهما ولكن بدون تجريح".

ليلى: "هذا هو التصرف الصحيح، أنت لا تريد تجريحًا، تريد فقط أن تضع النقاط على الحروف، تريد إغلاق هذا الفصل من حياتك لكي تتمكن من أن تبدأ فصلًا جديدًا".

أنهيا حوارهما حول هذه النقطة ثم اتجها لشراء المزيد من القهوة لكي تساعدهما على مواجهة النعاس. كانت الساعة قد اقتربت من الثانية صباحًا، ابتاعت ليلى قهوة إسبرسو في حين اختار فارس قهوة أمريكية، وبعد أن أخذ كل منهما طلبه عادا إلى حيث كانا يجلسان.

فارس: "الآن وبعد أن حددنا الخطوة الأولى المطلوبة مني، ماذا عنك"؟

ليلى مبتسمة: "ماذا عني"؟

obeikandi.com

فارس: "هل فكرت في الخطوة الأولى التي عليك اتخاذها للخروج من الدوامات التي تعيشين فيها"؟

ليلى: "في رأسي عدة أفكار، ربما البحث عن عمل، ربما طلب الطلاق... لا أعرف".

فارس: "في رأيي أن الخطوة الأولى ليست هذه أو تلك، إن الخطوة الأولى لتحررك من سيطرة زوجك وأسرتك وأبيك وعادات وتقاليد مجتمعك ليست في البحث عن عمل وليست في طلب الطلاق، الخطوة الأولى هي في نزع الحجاب".

ليلى باندهاش واعتراض: "ماذا؟!... لا أعتقد أنها خطوة جوهرية؛ إنها خطوة شكلية للغاية".

فارس: "بلى، إنها خطوة جوهرية للغاية، وأنت لا شعوريًّا تدركين ذلك؛ والدليل أنك نزعت حجابك فور مغادرتك لندن كما قلت، أي إنك اخترت أن تنزعي حجابك في المرة الوحيدة التي جاءتك فيها الفرصة بعيدًا عن زوجك وعائلتك ومجتمعك".

ليلى: "ربما أردت أن أبدو طبيعية في رحلتي إلى ڤيينا ولم أشأ أن يلفت الحجاب الأنظار إليّ".

obeikandl.com

فارس: "ربما يكون هذا هو التبرير الذي تقولينه لنفسك ولكنه ليس ما بداخلك".

ليلى: "وما الذي جعلك تقول إن هذا ليس ما بداخلي"؟

فارس: "أولًا كما قلت لك لأن نزع الحجاب كان أول قرارتك عندما تحررت من كل الضغوط، ولكي أتأكد من ثانيًا، لا بد أن أسألك سؤالًا".

ليلى: "تفضَّل".

فارس: "قبل هذه الرحلة، هل فكرت بشكل جدِّي في تغيير حياتك؟ أنا لا أتحدث عن الأمنيات أو الأحلام، أنا أسألك عن التفكير بشكل جدي".

ليلى، بعد أن لاحظ صمتها لفترة استنتج منها أنها تحاول التذكر: "لا، ربما كانت طموحات أو أحلام كما قلت، ولكنها لم تكن بشكل جدِّي أبدًا".

فارس: "وهذا ما يثبت السبب الثاني؛ إنك عندما تحررت من الحجاب بما يمثله من ضغوط عائلية ومجتمعية عليك بدأت تفكرين في تغيير حياتك إلى الأفضل". ثم أضاف بعد أن أخذ شهيقًا: "إن الحجاب ليس مجرد قطعة قماش زائدة توضع فوق الرأس، إنه رمز للسيطرة على

المرأة، إنه رمز لسيطرة زوجك وعائلتك وأبيك ومجتمعك ورجال الدين عليك، وعندما تخلعينه فإنك تكونين قد اتخذت أول خطوة للتحرر من سيطرة الآخرين عليك".

ليلى، وقد أحس أنها توافقه الرأي: "حسنًا ولكنني بالفعل خلعته منذ وصولي إلى هنا".

فارس: "هذه خطوة جيدة، التحدي الفعلي هو ألا ترتديه مرة أخرى".

ليلى، وقد لاحظ على وجهها بعض التعجب: "هل تريدني أن أسافر إلى لندن بدونه"؟!

فارس: "هذا هو بالضبط ما أفكر فيه، طالما أنك بالفعل خلعتِه إذًا لا ترتديه مرة أخرى؛ ليس من المنطقي أن ترتديه مرة أخرى ثم تسافري إلى لندن به وبعد ذلك تقومين بخلعه من جديد". ثم أضاف بلهجة بها حسم: "إن التردد مرفوض في مثل تلك الأمور، لا بد أن يكون قرارك واحدًا وحاسمًا".

صمتت ليلى لثوانٍ أحس فيها أنها تفكر في حجم الاعتراض الذي تتوقع أن تجابهه من زوجها وأهلها ومعارفها، تمنى عندها أن تقرر أنها لن تأبه باعتراضات الآخرين، تمنى في تلك اللحظة أن تقرر أن تعيش حياتها كما تريد وليس كما يريد الآخرون.

ثم وجدها تقول.

ليلى: "حسنًا، كلامك منطقي، لن أرتدي الحجاب مرة أخرى".

كانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف، وقد انتهيا من شرب قهوتيهما، أخذا يناقشان معًا ما سيقوله فارس لوالديه وما ستقوله ليلى لزوجها وأولادها، أخذا يرتبان الكلام ويراجعانه، كان فارس مقتنعًا بأن ما سيقال ليس مجرد كلام، وإنما هو وضع النهاية لمرحلة من حياتهما وإعلان بدء مرحلة جديدة، وأنه لا يوجد خط رجعة؛ لأن الرجوع بعد ما سيقال سيعني حرفيًا حالة من الضياع فكريًّا وروحيًا وضياع لما بقي من حياة كل منهما.

بعد أن راجعا ما سيقال واستعرضا سيناريوهات ما بعد الكلام كانت الساعة قد بلغت الثالثة والنصف، لم يكن هناك في تلك الساحة المفتوحة المليئة بالمطاعم والمقاهي والحانات إلا عدد قليل من الأشخاص، اتفقا على أن يقوم فارس بتوصيلها إلى فندقها لكي تستعد للسفر، أخذ كل منهما عنوان الآخر وأرقام الهواتف الأرضية والبريد الإلكتروني لكل منهما، ثم اصطحبها مشيًا إلى فندقها.

استغرقت رحلتهما نحو الساعة، لم يتحدثا عن ماضيهما مطلقًا، تبادلا الآراء في العديد من مواضيع السياسة والفن والاقتصاد والأدب وصناعة الدواء والسياحة والدين والتعليم ولكن لم يتحدث

أي منهما عن ماضيه أو ذكرياته، فقط حوارات عامة ليعرف كل منهما الآخر وكيف يفكر في نواحي الحياة المختلفة.

وصلا إلى فندقها في نحو الرابعة والنصف، عرفت منه أن أمامه يومين آخرين في ڤيينا قبل رجوعه إلى الإسكندرية، طلبت منه أن يحاول الاستمتاع بهذه المدينة وأن يبقى على اتصال، فأخبرها أنه سينتظر دائمًا أن تبدأ هي بالتواصل ثم يقوم هو بالرد؛ وذلك نظرًا لظروف زواجها، وشجعها على الالتزام بقرارها، ثم ودعا بعضهما وبعد ذلك انصرف وأخبرها أنه متجه إلى فندقه، في حين أخذ يراقبها وهي تصعد إلى غرفتها.

وفي نحو السابعة صباحًا أرسل فارس إليها رسالة نصية على هاتفها يخبرها بأنه ينتظرها في بهو الفندق لكي يصطحبها إلى المطار، بعد نحو دقيقة وصلته منها رسالة شكرته فيها وأخبرته أنها ستنزل بعد برهة، قرأ رسالتها ثم جلس ينتظرها على أحد المقاعد المواجهة لمكتب الاستقبال.

شاهدها تصل إلى البهو ووجدها تبحث بعينيها عنه، نهض فارس ومشي إليها وتبادلا السلامات، وبعد برهة وجد فارس أن أحد العاملين في الفندق يتجه إليها ويأخذ منها الحقيبة ثم يضعها في إحدى سيارات الأجرة التي تنتظر في الخارج، ثم تابعها فارس ببصره وهي تتجه إلى مكتب الاستقبال وتدفع فاتورة الحساب، ثم

تأتيه إلى حيث انتظرها على بعد بضع خطوات من بوابة البهو الرئيسي للفندق، بعد ذلك اصطحبها إلى سيارة الأجرة ثم انطلقا إلى المطار.

ليلى: "لقد فاجأتني، لم أتوقع أن تأتي لتصطحبني من الفندق إلى المطار".

فارس: "لقد كنت أفكر في ذلك عندما ودعنا بعضنا منذ بضع ساعات، إلا أنني لم أشأ أن أخبرك وقتها حتى لا ترفضي ورأيت أنه من الأفضل أن أفاجئك". ثم أضاف بضحكة خفيفة: "حتى لا يكون أمامك مجال للرفض".

ليلى: "بصراحة لقد فاجأتني، وبصراحة أيضًا لو كنت عرضت عليّ ذلك منذ بضع ساعات ما كنت لأرفض".

ابتسم فارس حيث أعجبه تعليقها.

ثم قال فارس: "هل سيكون هناك أحد في انتظارك في مطار هيثرو"؟

ليلى: "أجل زوجي وابنتي، أما ابني فلديه تمرين رياضي وسأراه بعد وصولي إلى المنزل بنحو ساعة".

فارس: "حسنًا، هل فكرتِ فيما ستقولينه لزوجك"؟

ليلى، وقد شاهد على وجهها ابتسامة: "أجل سأخبره أن رحلتي إلى ڤيينا كانت رائعة".

فارس، مبتسمًا: "ليس هذا ما قصدته"!

ليلى وهي ما زالت مبتسمة: "أعلم ما كنت تقصده بسؤالك، أنت تسألني عما سأقوله لزوجي بشأن حجابي".

فارس: "أجل، بالضبط".

ليلى: "لن أبادره بالقول، ولكنه حتمًا سيسألني، وعندما يسألني سأجيبه بجملة واحدة، أنا قررت أن أخلعه".

فارس: "وإن سألك عن الأسباب"!

ليلى: "سأقول له إن الأسباب من حقي وحدي، ستكون جملتي الوحيدة هي أنا قررت أن أخلعه".

فارس: "أتمنى أن توفّقي في خطواتك وأرجو أن تُبلغيني بردود أفعال عائلتك والمحيطين بك وكل التطورات".

ليلى: "بالتأكيد سأفعل". ثم أخذت شهيقًا وسألته: "وهل فكرت في لحظة مواجهتك لأهلك".

فارس: "نعم، فكرت كثيراً".

obeikandi.com

ليلى: "هل فكرت فيما ستقوله لهما؟ أم أنك تنوي التراجع"؟

فارس ببعض الحدة والحسم: "لا مجال لأي تراجع أو حتى تردد". ثم أخذ شهيقًا سريعًا وأضاف: "سأخبرهما ببساطة أنني أحبهما وأقدِّر ما فعلاه لأجلي، إلا أنني سأخبرهما أيضًا أن نصائحهما خاطئة وخططهما غير مدروسة وأسلوبهما في التربية غير سليم، سأقول لهما بوضوح إن كل عيوب شخصيتي منبعها تربيتهما الخاطئة، وإن ترددي وعدم قدرتي على اتخاذ القرار والخوف من كل شيء وأي شيء سببهما ما فعلاه بي عندما كنت طفلًا؛ فهما من زرعا بذرة الخوف الأولى بداخلي والتي نمت وترعرعت حتى أصبحت شجرة راسخة الجذور من الطاعة لصاحب أي سلطة عليّ".

ليلى: "ولكنني أحذِّرك من رد فعلهما؛ فهما إما سينهاران ويصفانك بالابن العاق وأنك لا تقدِّر ما فعلاه من أجلك وسيجعلانك تشعر بالذنب، وإما سينكران كل ذلك ويقولان لك إنك شخص ناجح في حياتك، بل إن ما أنت فيه من نجاح هما السبب فيه"!

فارس: "أجل، هاتان جملتان متوقعتان ووسيلتا رد أتوقعهما، ولكنها إجابات واهية؛ فنجاحي المحدود ملك لي وحدي بعد أن تغلبت على جانب من ضعفي، أما مسألة العقوق فلا مجال لها، فسرد الوقائع والحقائق ليس عقوقًا بأي حال من الأحوال".

ليلى: "بالتوفيق يا فارس، أبقِني على اطلاع على كل التطورات".

فارس: "شكرًا يا ليلى، وأنت أيضًا".

عندها وصلت سيارة الأجرة إلى المطار، ساعدها فارس في حمل حقائبها حتى دخلت إلى صالة السفر، ثم تبادلا السلام وعبرت بوابة الأمن، تابعها بعينيه حتى أنهت إجراءات تسليم حقائبها وحصولها على بطاقة الصعود إلى الطائرة، ثم شاهدها تمشي قليلًا في اتجاهه مرة أخرى وتشير له بيدها لتسلم عليه عن بعد مرة أخيرة قبل أن يراها تتحرك في اتجاه بوابات السفر، أشار إليها بيده ليبادلها السلام، ثم نظر إليها وهي تتحرك في اتجاه البوابات إلى أن اختفت عن ناظريه.

بعد نحو خمسة وأربعين دقيقة وجد رسالة نصية على هاتفه المحمول من ليلى تخبره فيها بأن طائرتها على وشك الإقلاع، تمنى لها السلامة وطلب منها إبلاغه عند وصولها، عندما جاءته رسالتها النصية كان قد عاد أدراجه من المطار ووصل إلى فندقه حيث يقيم، بعد قراءة الرسالة قرر أن ينام قليلًا حيث إنه أمضى الليل كله مستيقظًا، كانت الرحلة تستغرق نحو ساعتين ونصف، نام فارس ولكن دون أن يغلق هاتفه، حيث إنه كان يريد الاستيقاظ على رسالة ليلى التي ستخبره فيها أنها وصلت إلى لندن.

وبفعل إرهاقه، نام في غضون أقل من دقيقتين بعد أن وضع رأسه على الوسادة، وبعد نحو ساعتين ونصف استيقظ على رسالة

منها تقول: "لقد وصلتُ لندن فقد حطت الطائرة للتوٍّ في مطار هيثرو".

رد عليها برسالة نصية قائلًا: "حمدًا لله على سلامتك، إنني أفتقدك منذ الآن، أبلغيني بالتطورات أولًا بأول أرجوك".

ثم وجد ردًّا منها: "شكرًا جزيلًا، وأنا أيضًا أفتقدك، سأرسل لك بعد نحو ساعتين من الآن لأخبرك بالتطورات".

فأرسل لها فارس: "سأنتظر رسالتك".

أنهى رسالته وقرر أن ينام ساعتين أخريين قبل أن تأتيه الرسالة التالية من ليلى، وبالفعل حاول أن ينام دون أن يغلق هاتفه المحمول.

لم يتمكن فارس من النوم على الرغم من محاولاته المتكررة، تخيلها وهي تنهي إجراءات وصولها في المطار، تمنى أن تتحلى بالشجاعة عند لقاء زوجها وابنتها، تخيل مدى توترها وانفعالها في تلك اللحظات، كان يشفق عليها من كم الأسئلة والاستفسارات والاعتراضات التي ستنهال عليها لحظة رؤيتهما لها.

تمنى أن تستجمع شجاعتها وتُذكر نفسها بأنها لا بد أن تعبُر ذلك الباب في حياتها، ذلك الباب الذي يفصل بين ليلى داخله

وأخرى خارجه، تمنى أن تقوم بتذكير نفسها بما اتفقت عليه معه من أنها لن تحيا حياتين بعد الآن، وأن الوقت قد حان للخطوة الأولى.

كان يتمنى أن تتمكن من النظر إلى زوجها في عينيه وأن تتمكن من مواجهة تعجُّب زوجها واعتراضه وغضبه، وتخيل - أو ربما تمنى أيضًا - أن تكون ابنتها أكثر تفهمًا.

تخيل زوجها وهو يسلم عليها ببرود، وتمنى أن تعوضها ابنتها عن ذلك وأن تسلم عليها سلامًا حارًّا.

كان فارس يدرك أن زوجها سيبادرها بالسؤال عن حجابها فور أن تقع عيناه عليها، وتمنى فارس أن تتمكن ليلى من الرد بهدوء، تمنى أن تتمالك نفسها ولا تنفعل، قام بالدعاء لها كثيراً أن تتمكن من الثبات على موقفها، دعا لها أن تتمكن من التشبث بجملتها التي اتفقت معه عليها: "أنا قررت أن أخلعه".

كان فارس يتوقع حجم امتعاض زوجها واعتراضه على تحرر زوجته ونزعها للحجاب؛ فقد كان فارس يدرك أن زوجها مصطفى لا يعترف بأن زوجته لها حق ارتداء ما تشاء أو أن لها حق فعل ما تشاء، كان فارس مقتنعًا بأن مصطفى يرى أن له الكلمة الأولى والأخيرة في تحديد ما ترتديه زوجته، وسيكون اعتراضه عاصفًا.

وبعد نحو ساعتين وجد فارس رسالة نصية على هاتفه المحمول: "آسفة للتأخير، مصطفى سألني عن نزعي للحجاب إلا أنني أخبرته أن القرار نهائي، أمل تعاملت مع الموضوع بدون تعليق وإن كانت أكدت لي أنها تحبني، أحمد لم يعرف بعد، غالبًا ستخبره أخته بعد قليل فهما أصدقاء".

بعد قراءة الرسالة أرسل لها الرد التالي: "غضب مصطفى متوقع، المهم هو حدود ذلك الغضب، وفي جميع الأحوال لا تتراجعي، بالتوفيق وحظًا سعيدًا".

بعد عدة دقائق وجد فارس الرسالة التالية على محموله: "لقد تركني مصطفى وحدي وذهب إلى غرفة أخرى ليجلس وحده".

نهض فارس من سريره وقبل أن يتجه ليحلق ذقنه أرسل لها الرد التالي: "إنه يحاول أن يضغط عليك نفسيًا، كما اتفقنا لا تتراجعي، بالتوفيق يا صديقتي".

فوجدها تجيبه: "نعم، هي محاولة للضغط ليشعرني بأن ما فعلته غير مقبول، ولكنني لن أتراجع".

أكمل فارس حلاقة ذقنه ثم أخذ حمامًا سريعًا استعدادًا لخروجه.

أخذ فارس يتجول في شوارع ڤيينا مشياً مستمتعًا بالجو الرائع وأشعة الشمس الناعمة وذهنه مشتت بين ما سيقوله لأهله في الإسكندرية عندما يعود إليهم، وبين ما يحدث في لندن مع صديقته الجديدة ليلى.

وفي المساء وصلته رسالة من ليلى: "ماذا تفعل الآن في ڤيينا ☺"؟

فارس: "جالس في أحد المقاهي المطلة على النهر بعد ساعات طويلة من المشي في شوارع المدينة، وأنت ☺"؟!

ليلى: "في غرفتي على السرير، في انتظار زوجي".

فارس: "هل تصالحتما؟ هل تكلم معك"؟

ليلى: "لم يتكلم معي إطلاقًا ولكنني أنتظره، فمن واقع معرفتي به لا بد أنه يريدني لغرض معين الآن"!

فارس: "هل هذا معقول؟! لا أظن أنه سيطلب منك شيئًا الآن، من غير المعقول أن يكون مستاءَ منك ولا يتحدث معك ثم يطلب علاقة زوجية"!

ليلى: "صدقني هذا معقول جدًّا معه، أنا أدرى به، عمومًا سنرى".

obeikandl.com

فارس: "حسنًا، سلام".

بعد نحو ربع ساعة وجد فارس رسالة منها على محموله: "لقد حدث ما توقعته أنا ☹".

وصلت الرسالة إلى فارس في وقت كان فيه لا يزال جالسًا في نفس المقهى فقرأها ورد عليها: "☹ ☹".

ليلى: "تصبح على خير".

فارس: "تصبحين على خير".

دفع فارس حسابه ثم تحرك عائدًا إلى الفندق، وفور دخوله إلى غرفته بدل ثيابه ثم نام متوسدًا وسادة من حزنه على صديقته الجديدة ورغبته في تغيير واقعه وواقعها.

استيقظ فارس متأخرًا قليلًا ثم اتجه لتناول طعام الإفطار في فندقه وأثناء تناوله فطوره وجد الرسالة التالية منها: "صباح الخير، لقد خرجت لأتنزه وحدي، مصطفى أخبرني أنه يريد التحدث معي اليوم، أخبرني أن الوضع لا يمكن أن يستمر هكذا، بعد ذلك خرجت دون أن أخبره، لأول مرة منذ زواجنا".

فأجابها فارس: " صباح النور، حاولي أن تجعلي ذهنك صافيًا قدر الإمكان، فكري فيما هو متوقع أن يقوله لك وكيفية ردك عليه".

obeikandl.com

وبعد قليل وجد ردًّا منها: "نعم هذا ما أحاول أن أفعلـه، أخبــرني مـا الذي ستفعله في آخـر أيام رحلتك في ڤيينا"؟

فارس: "رحلة في نهر "الدانوب" تـستغرق أربع ساعات".

ليلى: "أنا أحسدك، يا ليتني كنت معك".

فارس: "ألم تجـربـي إحدى تلك الرحلات عندما كنتِ هنا"؟

ليلى: "رحلة واحدة قصـيرة لمدة نصف ساعة".

فارس: "أما أنا فسـأذهب في رحلـة طويلـة ستصـل إلى بعـض المنـاطق خارج حدود المدينة حيث الجبال والمناطق الخضـراء المليئة بالأشجار، أعتقد أن المناظر الطبـيعية ستكون خلابة".

ليلى: "أتمنى أن تـستمتع بـرحلتك".

فارس: "وأنا أتمنى لك التوفيق في "مباحثات" اليوم ☺".

ليلى: "شكرًا، ستكون حقًّا مباحثات ☺".

وبعـد عـدة سـاعات في نهايـة الرحلـة النهريـة عبــر نهـر "الدانوب" التـي بدأها فارس بعد أن فرغ من فطـوره وقهوتـه بقليـل وصلته رسالة من ليلى: "ما الأخبار عندك"؟

obeikandl.com

فأجابها قائلًا: "لقد بدأت رحلتي في النهر منذ نحو أربع ساعات، إن نهر "الدانوب" غاية في الجمال، والمناطق المحيطة رائعة والطراز المعماري لمنازل التجمعات السكنية الصغيرة جعلت المنظر العام يخلب الألباب، ستنتهي رحلتنا بعد نحو عشر دقائق".

ليلى: "أتمنى أن تكون قد استمتعت برحلتك، فيما كنت تفكر طوال هذه الساعات"؟

فارس: "أجل، لقد استمتعت بها، لقد كانت رحلة رائعة، حاولت قدر الإمكان تصفية ذهني، تأملت الطبيعة وجمالها، فكرت فيما مضى من عمري، خططي لما هو آتٍ، تساءلت عما يحدث معك في لندن".

ليلى: "أما أنا فقد أمضيت أغلب وقت الصباح خارج المنزل، ثم عدت وتناولت الغداء مع الأولاد كعادتنا، فغالبًا يعود مصطفى متأخراً، وعند الغداء اكتشفت أن أحمد متضامن مع والده ويرى أنني أخالف تعاليم الشريعة".

فارس: "تصرف أحمد متوقع، فهو ما زال صغيراً، والأولاد في مثل سنه يكونون ضيقي الأفق ويميلون إلى التفسير الحرفي لما يفهمونه من الدين ومن الحياة ويظنون أن هذا هو الوضع المثالي، وفي تلك السن الصغيرة تغيب عن أذهانهم الصورة الكبيرة لكل أمر من الأمور".

ليلى: " أجل، هذا ما قلته له تحديدًا، وقد قلت لـه أنـه عنـدما يـصبح في مثل عمري فستكون نظرته للحياة مختلفة".

فارس: "وماذا عن ابنتك"؟

ليلى: "أمل لم تعقب على الموضوع نهائيًا، إلا أنها طبـيعية تمامًا معـي، بالعكس أحس أنها ودودة بـشكل زائد، ربما هي سـعيدة مـن داخلهـا بقراري أو ربما تحاول تعويضي بـشكل غير مباشـر عن جفاء مصـطفى وتذمر أحمد".

فارس: "حسنًا، على الأقل هناك طـرف في المنزل معك ☺".

ليلى: "أجل ☺".

ثم في رسالة جديدة سألته: "متى ستقلع طائرتك"؟

فارس: "في العاشـرة والنصف من مساء اليوم، سـأطير إلى الإسـكندرية عبـر إسطنبول".

ليلى: "ما زال أمامك وقت، هل لديك خطط لما سـتفعله حتـى موعـد رحلتك"؟

فارس: "سأذهب مـع مجموعـة مـن السـياح لتنـاول الغـداء في أحـد القصور القديمـة التـي تقـع عـلى أطـراف المدينـة، إنـه قصـر يرجـع

تاريخه إلى نحو أربعمائة عام، وهو مبني على طراز "الباروك" وتم تحديثه من الداخل منذ عدة سنوات إلا أنه ظل من الخارج محتفظًا بطرازه المعماري كما هو، أي إنه من الطراز الذي يعجبنا ويشبهنا أيضًا ☺ ☺".

ليلى: "أجل، يعجبنا ويشبهنا... ولكن فقط حتى الأمس القريب ☺".

فارس: "أجل ☺".

ليلى: "أتمنى أن تستمتع بغدائك، بالهناء والشفاء".

فارس: "شكرًا جزيلًا، سأنتظر أخبارك، سلام ☺".

ليلى: "بالتأكيد، سلام ☺".

وبعد عودة فارس إلى فندقه وعندما كان يرتب حقائبه استعدادًا للسفر وصلته رسالة منها.

ليلى: "بعد ساعة من النقاش، رفض نزعي للحجاب، رفض أن أعمل، رفض أن أتخذ قراراتي بنفسي، يريد ليلى ما قبل ڤيينا، والأدهى أنه أمهلني أسبوعًا للتراجع وإلا طلقني وطردني خارج المنزل".

امتعض فارس كثيراً وأجابها: "يطردك من المنزل؟! لا يحق له ذلك".

ليلى: "ربما يحق أو لا يحق لـه قانونًا، لا أدري، ولكـن مـوقفي ليـس بالقوة التـي تتخيلها؛ فأنا مصـرية وهو بـريطاني".

فارس: "أوَلم تحصلي على الجنسـية البـريطانية"؟!

ليلى: "كلا، فقد رفض بـشكل قاطع حصولي عليها، على الرغم مـن أنـه حصل عليها هو والأولاد".

فارس: "من الواضح أنه دائمًا كان يريدك في موقف أضعف منه".

ليلى: "أجل، لقد قال لي بـتهكم إننـي أسـتطيع توكيـل محـامٍ وتقـديم شـكوى للجهـات القضـائية، وهـو يعلـم تمامًـا أننـي لا أملـك الأمـوال اللازمة لتغطية التكاليف المرتفعة لتوكيل محامٍ هنا في لندن".

فارس: "لذلك كان يرفض دائمًا أن تعملي، لكيلا يكون لكِ مصدر دخـل ولكي تكوني دائمًا في ظله".

ليلى: "هذا بالضبط مـا قلتـه لـه، إنـه لا يريـد أن تكـون لي شخصـية مسـتقلة والأمـرّ مـن ذلـك أنـه يفسـر الـدين بطـريقة تمكِّنـه مـن السـيطـرة عليّ، كل ما يراه في الدين هو أنني ملزمة بطاعته"!

فارس: "وماذا ستفعلين بعد ما سمعتِه منه؟ ما هي خططك"؟

ليلى: "لا أعرف، سأرتاح قليلًا الآن، فصدمتي مما سمعته منه جعلتني أفقد توازني، لا تشغل نفسك بي الآن، جهز حقائبك لكي تصل في ميعادك".

فارس: "حسنًا ولكن أرسلي لي كل ما يحدث أولًا بأول".

ليلى: "حسنًا، أرسل لي قبل إقلاع طائرتك، لقد وضعت كلمة سر لهاتفي المحمول بعد أن اكتشفت الوجه الحقيقي لزوجي، تستطيع بدءًا من الآن أن ترسل لي متى تشاء".

فارس: "إن هذا هو الوجه الأول والأخير والحقيقي له ولكنك كنت تتعمدين عدم الرؤية فيما يبدو".

ليلى: "أجل، يبدو ذلك، سلام".

فارس: "سلام".

انتهى فارس من تجهيز حقائبه واتجه إلى المطار، وفي الطريق من الفندق إلى المطار لم يكن في ذهنه سوى ليلى وما آلت إليه أمورها مع زوجها، تعجَّب كيف يعيش شخص مع آخر لسنوات طويلة ويبني ويؤسِّس معه أسرة ثم فجأة يجد نفسه معرضًا للطرد والإبعاد لأتفه الأسباب. تساءل في نفسه: "هل زوجها تغير؟ أم ظهر

وجهه الحقيقي؟ أم أن هذا هو وجهه الوحيد ولكنها لم تكن تراه كما قال لها؟ هل أخطأت هي بالبحث عن قرارها الحر"؟

وبعد كل هذه التساؤلات أيقن أن التغيير صعب ومؤلم للشخص ولمن حوله وأدرك أن عليه الاستعداد لينال نصيبه من الألم قريبًا عندما يبدأ رحلته الحقيقية في التغيير ويأخذ خطوته الأولى.

وصل إلى المطار، أنهى إجراءات السفر، صعد إلى الطائرة ثم من مقعده في الطائرة أرسل لها رسالة نصية: "أنا في الطائرة الآن، ستُقلع بعد نحو خمس دقائق، لقد فكرت كثيرًا فيما قاله زوجك لك، إن التغيير صعب ومؤلم لنا وللمحيطين بنا، عندي اقتراح لك".

وبعد ثوانٍ وجد رسالة منها: "أتمنى لك رحلة سعيدة، ما هو اقتراحك"؟

فارس: "اذهبي إلى محامٍ غدًا صباحًا، واجعليه يقدم شكوى استباقية للجهات المعنية، لا تنتظري حتى يطردك من المنزل، قومي أنت بالخطوة الأولى".

ليلى: "اقتراحك جيد من الناحية النظرية، ولكن هل تعرف تكلفة المحامي هنا؟ إن رصيدي في البنك هو صفر، فزوجي لم يترك لي يومًا أية نقود".

فارس: "ما هو اسمك الكامل يا ليلى"؟

بعد ثوانٍ وجد منها رسالة بها اسمها بالكامل، ثم أقلعت طائرته إلى الإسكندرية عبر إسطنبول.

وفور هبوط طائرته في مطار إسطنبول أرسل فارس لـ ليلى رسالة نصية: "لقد وصلت الآن إلى إسطنبول، أريد أسمك بالكامل وأريد رقم جواز السفر الخاص بك لكي أحول لك أتعاب المحامي عن طريق إحدى شركات تحويل الأموال".

وبعد عدة دقائق جاءه منها الرد التالي: "حمدًا لله على سلامتك، شكرًا جزيلًا ولكنني سأتصرف وسأجد طريقة للحصول على أتعاب المحامي".

فأجاب فارس: "لا يوجد وقت نخسره، اعتبريهم قرضًا وقومي بسداده عندما تحصلين على عمل".

ليلى: "شكرًا جزيلًا يا فارس، أبقِني على اطلاع على ما سيحدث معك، وأرسلت له رقم جواز سفرها".

فارس: "عفوًا يا صديقتي، سأحوِّل النقود عندما أصل إلى الإسكندرية".

ليلى: "شكرًا جزيلًا يا فارس".

فارس: "لا يوجد شكر بين الأصدقاء، لقد تجاوزت الساعة الآن الثانية عشرة بعد منتصف الليل في إسطنبول ولكن ليس عندك في لندن، حددي موعدًا مع المحامي بعد غد مساءَ بتوقيت لندن لنضمن أن النقود ستكون قد وصلتك، ابدئي خطواتك ولا تتأخري".

ليلى: "لا أعرف كيف أشكرك، وأنت متى ستتحدث مع أهلك"؟

فارس: "لا داعي للشكر، فنحن فريق واحد الآن، سأتحدث مع أهلي في نفس التوقيت أيضًا بعد غد مساءَ بتوقيتك".

ليلى: "بالتوفيق يا صديقي ☺".

فارس: "شكرًا يا ليلى ☺".

بعد انتهاء فترة التوقف في مطار إسطنبول أقلعت طائرته متجهة إلى الإسكندرية وبعد وصوله اتجه إلى شقته، وعندما كان في سيارة الأجرة أجرى اتصالًا هاتفيًا بأبيه وأمه يخبرهما بأنه عاد وسيأتي لزيارتهما في الغد، ثم وصل إلى بيته منهكًا فأخذ حمامًا ساخنًا ثم نام.

استيقظ فارس نحو الواحدة ظهرًا، أفرغ حقائبه سريعًا ثم تناول طعامه، وبعد ذلك اتجه إلى أحد مكاتب شركة تحويل الأموال ثم قام بتحويل ما يقرب من ألف جنيه استرليني إلى ليلى، وبعد أن

obeikandi.com

انتهى من إجراءات التحويل، أرسل لها رسالة: "صباح الخير يا ليلى، لقد قمت بتحويل ألف جنيه استرليني إليك، ستصل الأموال في غضون 24 ساعة".

وبعد قليل قرأ الرد منها: "صباح النور، شكرًا جزيلًا يا فارس، لا أعرف حقًّا كيف أشكرك".

فارس: "تشكرينني بأن تحققي أهدافك وتسيري في طريق الحرية ☺".

ليلى: "☺".

وبعد ذلك اتجه إلى عمله، اهتم بإنهاء الأمور العالقة منذ أسبوعٍ إجازته وركز على الأمور العاجلة فقط ثم في نحو الخامسة مساءً، عاد إلى بيته ثم اتصل بوالديه فردت عليه والدته.

فارس: "كيف حالك يا أمي؟ لقد أوحشتني جدًّا".

الأم: "الحمد لله، وأنت أيضًا أوحشتني يا فارس".

فارس: "سأمرّ عليكما نحو السابعة مساء الغد".

الأم: "ولكن لماذا ليس اليوم"؟!

فارس: "أنا مرهق للغاية، فالرحلة كانت طويلة كما أنني اضطررت أن أذهب للعمل اليوم".

الأم: "سنكون في انتظارك ولن نتناول الغداء حتى تأتي".

فارس: "حسنًا يا والدتي، سلام".

الأم: "سلام".

لم يكن الإرهاق هو السبب في تأجيل الزيارة ولكنه القلق والتوتر، ومن فرط توتره لم يذهب إلى عمله في اليوم التالي، فقد استيقظ متأخراً، واستمر في مراجعة ما يريد قوله، أخذ يراجع الكلمات في ذهنه مرارًا وتكرارًا، أخذ يراجع أحداث الماضي وذكرياته معهما مرارًا وتكرارًا وبالذات في فترة طفولته، حتى وصل إلى قناعة تامة بما يريد قوله.

في نحو السابعة وصل إليهما، سلم عليهما، تبادل معهما أحاديث عابرة عن رحلته إلى ڤيينا، لم يقص عليهما كثيراً مما حدث معه هناك، اكتفى بالقشور؛ فهو لم يكن معتادًا على الحديث معهما عن تفاصيل حياته، ثم تناول معهما طعام الغداء، جلس هو وأبيه وأمه صامتين تمامًا طوال فترة تناولهم غداءهم المتأخر.

بعد فراغهم من الطعام، جلس مع والده على الأريكة في حين سألتهما والدته: "هل تريدون الشاي"؟

أجاب والده بالإيجاب وكذلك أجاب هو، فقد كان يعشق شرب الشاي بعد الأكل مباشرةً.

سأله والده: "هل استمتعت برحلتك إلى ڤيينا"؟

فأجاب: "كانت جيدة في جوانب وغير جيدة في جوانب أخرى".

فعلق والده: "دائمًا تحب تعقيد الأمور".

فارس: "تعقيد الأمور؟ أين هو هذا التعقيد"؟

الأب: "معظم الناس يتمنون رحلة كهذه، ولكنك تصر على التفكير الزائد والتحليل المبالغ فيه لكل شيء".

فارس: "أنا مصرّ على التحليل والتفكير ولكنني أفعل ذلك بشكل طبيعي وليس بشكل مبالغ فيه".

الأب: "أنت دائمًا تبالغ في التحليل والتفكير وكثيراً ما تبالغ في تفسير كل شيء".

فارس: "وكيف هذا"؟

obeikandl.com

الأب: "هذا طبع فيك منذ أن كنت صغيراً، فعندما كان يقول لك أي شخص أي نصيحة أو رأي أو ملحوظة كنت تبالغ في تحليل وتفسير ما يقول، كلما حدث موقف معك كنت تبالغ في تفسير الأسباب والدوافع وتظل تفكر بالأيام والأسابيع في ذلك الموقف وما وراءه وهكذا".

في تلك اللحظة كانت والدته قد انتهت من إعداد الشاي، فجلبت فنجانين الشاي وجلست معهما.

التقطت الأم طرف الحوار قائلة: "بالفعل يا فارس، أنت كنت دائمًا تعقِّد كل الأمور وترفض أخذ الأمور ببساطة".

عندما أنهت الأم جملتها ومضت في ذهن فارس أن هذه هي اللحظة المناسبة ليقول لهما ما كان يخطط له خصوصًا أنهما هما من فتحا الموضوع وليس هو.

فقال لهما: "أنا كنت دائمًا ولا زلت أتجنب التفكير السطحي، وكذلك كنت وما زلت أحب التفكير المنطقي المبني على الحقائق وليس الكلام المُرسل".

صمت الأب والأم ولم يجيبا.

فاسترسل فارس: "المسألة ليست في مبالغتي أو عدم مبالغتي في التفكير والتحليل، الموضوع ببساطة هو أنكما كنتما ولا زلتما دائمًا وأبدًا تعترضان على كل ما أقول وكل ما أفعل".

فقال كلاهما في نفس الوقت تقريبًا بتعجب: "نحن"؟!

فأجاب فارس: "نعم، فمنذ أن كنت صغيراً كنتما تعترضان على كل تصرف أقوم به وتنتقدان كل كلمة أقولها أو كل فكرة أقترحها، كنتما تسفِّهان كل رأي عندي وكل حلم حلمت به وتقللان من شأن كل طموح عندي إلا ما وافق هواكما واتفق مع ما كنتما تخططان له".

الأب: "ما هذا الكلام يا فارس؟! نحن دائمًا كنا نشجعك في كل ما كنت تقوم به".

فارس: "كلا، لم يحدث مطلقًا، أنتما كنتما تشجعاني فقط في الأمور التي توافق خططكما، في الأمور التي تتوافق مع شكل الحياة التي كنتما تريداني أن أحياها، أما عندما كانت لي طموحات مختلفة فلم يحدث أن شجعتماني مطلقًا".

الأم: "بالطبع كان لنا خطط لك؛ فهذا هو دور كل أم وأب، فهما من يخططان لأولادهما".

فارس: "دور كل أب وأم هو أن يعلّما ابنهما التفكير وليس ما يفكر فيه، دورهما هو بناء الأساس وليس تشكيل البنيان".

الأم: "هذا كلام نظري، عندما يكون لك أولاد ستعرف وتدرك كم نحن نحبك".

فارس: "أنا لا أناقش هل تحباني أم لا، فهذا أمر مفروغ منه، كل أم وأب أسوياء يحبان أبناءهما، أنا أتكلم عن موضوع آخر، أتكلم عن طريقة تربية وأسلوب تعامل".

الأب: "هل هذه هي مشكلتك معنا والتي أبعدتك عنا طوال السنوات الماضية؟! هل ابتعدت عنا لمجرد أننا كنا نوجهك لما نراه الأفضل لك"؟!

فارس: "أنا لم أتخذ قراراً بالبعد أو بالقرب منكما، كل شيء سار في مساره الطبيعي، وأنتما لم تكونا توجهاني، أنتما كنتما دائمي الانتقاد والاعتراض والتسفيه لكل أفكاري وأفعالي وخططي وأحلامي وطموحاتي، كما كنتما دائمي التدخل في كل كبيرة وصغيرة تخصني، كنتما تريداني مقولباً في قالب وشكل معين، كنتما تطلبان مني الطاعة الكاملة وتجعلاني أشعر بالذنب عندما أحاول الاختلاف والخروج عن الأفكار المعلبة والقالب الذي صنعتماه لي". ثم صمت لبرهة وأضاف: "ولكي أجيب عن سؤالك: "نعم هذا أحد الأسباب التي أثرت فيّ تجاهكما ولكنه ليس السبب الوحيد".

الأب: "وما هي الأسباب الأخرى"؟!

فارس: "رغبتكما الدائمة في أن أصبح شبيهًا لصورة معينة تخيلتماها في ذهنكما عني، وتدخلكما الدائم في كل كبيرة وصغيرة في تفاصيل حياتي وانتقاداتكما الدائمة وتسفيهكما لطموحاتي وأفكاري جعلا مني إنسانًا فاقدًا للثقة في النفس، غير قادر على اتخاذ قرار، وعندما حاولت أن أهرب من هذا الضعف لم أتمكن ووقعت في شباك الطاعة".

الأم ببعض التهكم: "شباك الطاعة"؟!

فارس متجاهلًا تهكمها: "نعم، طاعة رجل الدين، طاعة السلطة، طاعة المجتمع، طاعتكما وبالتالي مجاراة السائد والمألوف من كل ما سبق".

الأم ببعض التهكم أيضًا: "وما المشكلة في أن تجاري السائد والمألوف من كل ما سبق"؟!

بدا على وجه فارس بعض الضيق من تهكم والدته وعدم رغبتها في مجرد محاولة فهم ما يشعر ويفكر به، إلا أن المفاجأة جاءت من تعليق والده.

الأب: "عندما يقوم شخص بمجاراة المألوف وطاعة الجميع يفقد نفسه ويضيع تميزه وتفرده، ويتحول إلى مجرد نسخة مشابهة لملايين

من البشر الآخرين، يتحرك بشكل شبه آلي دون تفكير حقيقي ودون رغبة حقيقية في إدراك أحلامه وطموحاته التي تنبع من داخله".

بدت الدهشة على وجه فارس، لم يتوقع هذا التعليق من والده، لطالما ظن أن والده لا يفهمه ولا يشعر به، دارت في ذهنه تساؤلات كثيرة، بعضها ظل في رأسه والبعض الآخر ظهر على ملامح وجهه ونطقت به عيناه.

نظر إليه الأب نظرة يفهم منها أنه أدرك جانبًا كبيرًا مما يفكر فيه فارس، ثم واصل الأب كلامه.

الأب: "لا تنسَ يا فارس أننا من جيل مختلف عنك، كما أننا لسنا خبراء في التربية ولكننا ربيناك كما تعلمنا من أهلنا ومن الحياة، ربما أخطأنا وربما أصبنا ولكن هناك حقيقة لا ينبغي أن تغيب عن ذهنك".

فارس: "وما هي"؟

الأب: "من كلامك الآن، ومن متابعتي لأفعالك طوال السنوات السابقة، يبدو أنك تفرغت للاعتراض علينا داخل عقلك ولم تفعل شيئًا لنفسك".

فارس: "ماذا تقصد بأنني تفرغت للاعتراض عليكما داخل رأسي"؟

الأب: "لم تكن لديك رغبة حقيقية لكسر حلقة الطاعة التي وقعت بها يا فارس، لقد مثَّلت لك تلك الحلقة حجة وعذرًا مناسبين لأي فشل أو إخفاق يحدث لك؛ لأنك لو كسرت تلك الحلقة وأمسكت بزمام حياتك بنفسك ثم فشلت فلن تجد عذرًا أو حجة أو شماعة تعلق عليها فشلك، لقد كانت تلك الحلقة المفرغة من الطاعة سببًا في إخفاقك وتحجيمك، ربما هذا صحيح، ولكنك استعذبتها وأعجبت بها أيضًا، لا تنكر ذلك".

فارس مرتبكًا: "لو كان ما تقوله صحيحًا، فلماذا أتحدث معكما الآن"؟

الأب مبتسمًا: " يبدو أنك الآن والآن فقط قد اتخذت قرارًا بأن تتحمل مسئولية حياتك، من الواضح أنك الآن فقط قررت أن تتخلص من تلك الحلقة التي مثَّلت ضغطًا عليك من الماضي من جانب وحجة وعذرًا جاهزين لتبرير أي فشل من الجانب الآخر".

فارس: "هل تريد أن تقول لي إن كل فشل في حياتي كنت أنا السبب فيه"؟!

الأب: "كلا، عثراتك وتخبطك في بدايات حياتك كنا نحن السبب فيهما، هذا وارد ولن أجادلك فيه، ولكن تأخرك في معالجة الأسباب والتخلص من الأعذار الجاهزة هو مسئوليتك، لقد كان من الممكن أن

تتخذ هذا القرار منذ خمسة أو عشرة أو خمسة عشر عامًا ولكنك كنت تستسهل وجود عذر جاهز".

فارس: "وهل تظن أنه من السهل على الشخص أن يتخلص من عيوب ونقائص نفسية زُرعت بداخله منذ الطفولة"؟!

الأب: "بالطبع لا، فأنا أعاني من بعض تلك العيوب حتى الآن، ولكن الفرق بين إنسان ناجح وآخر أقل نجاحًا، هو الفرق بين إنسان يسارع بمواجهة نفسه والتغلب على عيوبه ونقائصه وبين آخر يتأخر في اتخاذ ذلك القرار أو لا يتخذه من الأساس".

الأم باعتراض: فارس ليس فاشلًا، إنه ناجح ويملك عمله الخاص وحاله أفضل من الكثير.

الأب بهدوء ولكن بنبرة بها وضوح وتأكيد: "بل هو فاشل، وهو يعلم ذلك جيدًا، الكلام العاطفي لا يغير من الحقيقة شيئًا؛ فهو متردد، غير قادر على اتخاذ قرار، يميل إلى الانقياد للآخرين، غير قادر على بناء علاقات اجتماعية سليمة، فاقد للثقة في نفسه. إن فارس لم ينجح إلا في جانب واحد فقط من حياته وهو عمله فقط، ولكنه اجتماعيًا وعاطفيًا فاشل، وعلى مستوى علاقته مع الله فهو غير محدد الاتجاه وغير ملتزم بفكر محدد، وحتى في عمله الذي حقق فيه بعض النجاح فهو يفتقر إلى صفات القيادة؛ لذلك فشركته ظلت صغيرة، ليس لديه عزيمة أو إرادة فهو يبدأ في مشروع أو فكرة ثم لا يتابع ولا يستمر،

وإنما يشغل نفسه بتوافه الأمور ولا يتقدم للأمام في أية خطة يضعها".

ظهرت على وجه فارس علامات التعجب والدهشة؛ فلأول مرة في حياته يسمع كلامًا من والده بهذا الوضوح والموضوعية، لأول مرة يدخل معه حوارًا بنَّاءَ، لأول مرة يدرك أن والده يفهم ويحس بكثير مما يشعر به، لأول مرة يكتشف أنه ليس بعيدًا عن والده بالقدر الذي كان يظنه وليس مختلفًا عنه بالدرجة التي كان يتصورها.

أحس بأن حجرًا كبيرًا قد انزاح من فوق صدره؛ فقد سمع من والده الجملة التي كان يتمنى سماعها منذ سنوات، فقد قال له والده بوضوح إنه هو ووالدته ربما يكونان السبب في فشله في بدايات حياته وهو اعتراف طالما تمنى سماعه منهما، اعتراف ينزع الكثير من فوق صدره، اعتراف يجعله يحس على الأقل أن الفشل ليس جزءًا من الجينات التي وُلد بها، اعتراف يسمح له بأن يمنِّي نفسه أن الفشل كان مرحلة وولَّت وربما يكون هناك نجاح في مكان وزمان ما في المستقبل، اعتراف يسمح له بالاقتناع بأن فشله كان نتيجة عوامل أقوى منه تم زرعها بداخله عندما كان طفلًا صغيرًا لا حول له ولا قوة، اعتراف يتيح له الاعتقاد بأنه كان يخوض مع الدنيا مواجهة غير متكافئة حيث تم نزع أسلحة المواجهة منه عندما كان لا يزال طفلًا صغيرًا ثم صَعُبَ عليه بعدها أن يستعيد تلك الأسلحة.

منحه ذلك الاعتراف راحة نفسية وطمأنينة وأملًا، ولكن من جانب آخر، فقد قال له والده جملة لم ينتبه لها قبل اليوم، لقد قال له بوضوح شديد إنه تأخر في المواجهة، تأخر في مواجهة نفسه والإمساك بزمام حياته، تأخر في محاولة التغلب على أسباب الفشل التي أعاقته عن التقدم في حياته، نبهه والده أنه استسلم لفكرة وجود عذر جاهز وشماعة يعلق عليها أسباب أي إخفاق يحدث له، بل وأكثر من مجرد الاستسلام فربما يكون قد استلذ بالفكرة ومنحته ما يسمى بـ "منطقة راحة" داخل عقله؛ فكلما وجد نفسه غير قادر على الفعل أو الإنجاز فإنه كان يجد العذر الجاهز والمبرر سابق التجهيز والمُريح له ولطريقة تفكيره.

كان الضوء الذي سلطه والده على الجانب الآخر من الموضوع مؤلمًا لعينيه، فقد جعله يرى الأمور بمنظور أشمل وأوضح، أحس بحالة من عدم الاتزان بعد حواره مع والده، أحس بمدى تقصيره في حق نفسه، وبمدى استسلامه لمرض العذر الجاهز، أحس بحالة من عدم الارتياح فقال لهما: "استأذنكما، سأذهب الآن إلى المنزل".

فقال له والده: "أريد أن أخبرك شيئًا أخيراً يا فارس، لست وحدك من أخطأ أبواه أخطاء قاتلة في تنشئته وأعطبا كثيراً من جوانب شخصيته، ولست وحدك من استسلم لهذا الوضع واستخدمه كعذر جاهز ومقبول ليبرر انهزاميته، ولست وحدك من تأخر في التغلب

على حالة الاستسلام هذه، فأنا أمامك أمثِّل كل ما سبق وربما بصورة أشد سلبية منك، إلا أن هناك ميزة عندك وليست عندي".

فارس: "وما هي يا أبي"؟

الأب: "لقد قررتَ أن تتغير يا فارس ربما متأخرًا بعد بلوغك الخامسة والأربعين إلا أنك قررت، قررت أن تتوقف عن مسايرة المألوف وطاعته، يبدو أنك قررت أن تأخذ زمام المبادرة في حياتك وهي خطوة هامة جدًّا يا ولدي ستغير ما هو قادم من حياتك، وحتى أكون صريحًا معك للغاية فهي خطوة طالما تمنيت أنا أن أخطوها ولكنني جَبُنْت".

فارس: "ولماذا لم تأخذ تلك الخطوة يا والدي"؟

الأب: "لنفس السبب الذي جعلك تتأخر حتى اليوم في قرارك يا فارس؛ الخوف". تنهَّد والده ثم أضاف: "عندما تأخذ مسئولية حياتك لن يكون هناك شماعات تعلِّق عليها أسباب فشلك أو أعذار سابقة التجهيز تبرر بها إخفاقك، فعندما تتخذ قرارًا ستكون مسئولًا أمام نفسك سواء كان صحيحًا أم خاطئًا وهذا أمر مرعب يا ولدي".

فارس: "مرعب؟! ألهذه الدرجة"؟!

الأب: " نعم، فإذا تحملت مسئولية حياتك ووضعت مثلًا كل مدخراتك في مشروع ثم فشل فإنك لن تجد عذرًا جاهزًا تعطيه لنفسك، عندئذٍ ستكون النتيجة أنك ستضطر أن تقول لنفسك بوضوح كامل ودون عذر أو تورية: "أنا فشلت"، وإذا قررت الزواج ثم اخترت زوجة غير مناسبة، أيضًا لن تجد شخصًا تعلِّق عليه أسباب فشلك وستجد أنك مضطر أن تقول لنفسك بوضوح: "أنا فشلت" وهكذا". ثم أضاف بعد صمت دام عدة ثوانٍ: "إن مواجهة النفس هي أصعب شيء، ربما أصعب من مواجهة العالم أجمع".

استمع فارس بحرص شديد لكل كلمة قالها له والده، ثم سلم عليهما وانصرف إلى منزله، وفي الطريق من بيتهما إلى بيته والذي استغرق نحو خمس وأربعين دقيقة استرجع حواره معهما ثم أخذ يفكر فيما قاله له والده وبالذات جملته الأخيرة: "إن مواجهة النفس هي أصعب شيء، ربما أصعب من مواجهة العالم أجمع". وعندما وصل إلى منزله كان القرار قد اختمر في عقله، لن يتراجع بعد اليوم، لن يستمر في سلبيته، سيكسر حلقته المفرغة، لن يستمر في خطئه ولن يكرر خطأ والده، لقد قرر أن يتوقف عن طاعة المألوف والسائد وسيتوقف عن أن يمثل دورًا في الحياة ليس دوره، لقد قرر أن يكون نفسه، داخله كخارجه، وأن يحيا كيفما يريد.

فور أن وصل إلى منزله أمسك هاتفه المحمول وأرسل إلى ليلى رسالة: "كان نقاشًا غير متوقع، اعترف والدي بأخطاء غير

مقصودة في تنشئتي وقال بوضوح إنها ربما تسببت في فشلي في مراحل حياتي الأولى، إلا أنه حمّلني وحدي مسئولية الاستمرار في الفشل".

بعد قليل وجدها وقد ردت عليه: "الجانب الأول جيد جدًّا، أعتقد أنك تشعر بقدر كبير من الراحة الآن، ولكن ماذا تقصد بأنه حمّلك مسئولية الاستمرار في الفشل"؟

فارس: "إنه يرى أنني استسلمت لعيوبي، واستسلمت لجراحي وكنت خائفًا من مواجهة نفسي وخائفًا من التغيير، إنه يرى أنني استخدمت أخطاءهما في تربيتي كشماعة جاهزة أعلق عليها أسباب كل فشل يحدث لي في حياتي".

ليلى: "وما رأيك أنت في هذا الكلام"؟

فارس: "بصراحة، يبدو منطقيًا، لقد سلَّط كلامه الضوء على حقيقة كانت تقبع خارج منطقة الضوء في حياتي، لقد كنت دومًا خائفًا من اتخاذ أي قرار".

ليلى: " إذًا لقد كانت طاعتك لأهلك ورجال الدين والسلطة سببها الرئيسي هو الخوف".

obeikandl.com

فارس: "الطاعة - ومع مرور الوقت - خلقت الخوف من التغيير، وبعد ذلك أبقاني ذلك الخوف داخل جدران سجن الطاعة، والخوف هنا هو الخوف بكل أشكاله سواء الخوف من أخذ زمام المبادرة في حياتي، والخوف من اتخاذ القرار والخوف من تحمل مسئوليته".

دام صمت بينهما لعدة دقائق وجد فارس أن ليلى قد كسرته برسالة بدا منها وكأنها ترسلها له ولها في نفس الوقت: "وما هي خطوتك القادمة"؟

فارس: "لا أعرف".

ليلى: "ماذا تقصد بأنك لا تعرف"؟

فارس: "لم أكن أتوقع أن ينتهي حواري معهما بهذه السرعة، ولم أكن أتوقع أن يعترفا بنتائج وتبعات ما فعلاه، ولم أكن أتوقع أن يلفتا نظري إلى استسلامي الطويل للوضع القائم، كل هذه مفاجآت غير متوقعة، إنني أحس براحة كبيرة إلا أنها أيضًا راحة مفاجئة".

ليلى: "معك حق، حصيلة مناقشاتك معهم كانت سريعة ومفاجئة".

فارس: "وماذا عنك؟ هل قابلت المحامي"؟

ليلى: "موعدي معه بعد قليل".

obeikandl.com

فارس: "هذا تطور جيد، هل اتصلت بمكتب شركة تحويل النقود لمتابعة التحويل"؟

ليلى: "أجل يا صديقي، لقد استلمت النقود ظهر اليوم ☺".

فارس: "عظيم جدًّا ☺".

ليلى: "هل من الممكن أن أطلب منك شيئًا"؟

فارس: "بالتأكيد".

ليلى: "أريدك عندما ترسل لي لتطمئن عليّ بعد لقائي مع المحامي أن تكون قد فكرت في خطوتك القادمة".

فارس: "حسنًا، سأحاول، ولكن لماذا هذا الطلب؟ ولماذا تريديني أن أفكر في خطوتي القادمة بهذه السرعة"؟

ليلى: "أخشى أن يسرقك شعور الراحة الذي تستعذبه الآن مثلما سرقك من قبل شعور الاختناق، أخاف أن تسرق السعادة حاضرك ومستقبلك كما سرق الخوف ماضيك، الاستغراق المُبالغ فيه في المشاعر السلبية أو الإيجابية قد يسرق الإنسان من أهدافه بل ومن نفسه".

فارس: "وجهة نظر، ربما لم أفكر فيها بهذا الشكل من قبل، ولكنني أعدك بأنني سأفكر".

ليلى: "حسنًا، سأنتظر خططك ☺".

فارس: "سأرسل لكِ بعد نحو ساعتين للاطمئنان ☺".

ولكنه - وبعد أقل من ساعتين - وجد رسالة من ليلى على هاتفه المحمول: "لقد أنهيت اجتماعي مع المحامي للتوِّ، أنه مكتب محاماة كبير ومشهور وبه عدة أقسام متخصصة في الأمور التجارية ومشاكل الزواج والطلاق وأيضًا قسم خاص بالهجرة، وقد قابلت محاميًا مختصًّا بشئون الأسرة، لقد اخبرني أن موقفي القانوني قوي على عكس ما حاول مصطفى إيهامي به، فالقوانين هنا تُنصف المرأة وليست مثل قوانين مصر، سيقوم المحامي غدًا بتقديم شكوى لدى الجهات المختصة بخصوص تهديد مصطفى لي بطردي من المنزل، ووفقًا لكلام المحامي فسوف تكون هذه الخطوة هامة لحفظ حقوقي وضمان ألا يسيء معاملتي".

فارس: "هذه أخبار سارة".

ليلى: "أجل، سأذهب مع أحد محامي المكتب غدًا لتقديم الشكوى".

فارس: "أنا مسرور للغاية بأن موقفك قوي، يبدو أن الأمور ستسير إلى الأفضل".

ليلى: "وأنا أيضًا، لا تتصور مدى الخوف الذي عشته منذ أن هددني بالطرد".

فارس: "لن يطردك أحد، هذا بيتك مثلما هو بيته وإذا أراد الانفصال فلا بد أن تحصلي على حقوقك كاملة، سأقوم غدًا بتحويل مبلغ آخر من النقود لك".

ليلى: "شكرًا يا فارس ولكني لست بحاجة إلى النقود الآن، فما زال معي جزء من المبلغ الذي أرسلته لي".

فارس: "ستحتاجين إلى نقود للمتابعة مع المحامي إلى أن تصلي إلى حل، وأيضًا ربما تحتاجين أن تستأجري شقة تعيشين فيها إذا اضطرتك الظروف، ولكن افعلي ذلك بالتنسيق مع المحامي حتى لا تخسري حقًّا من حقوقك".

ليلى: "شكرًا جزيلًا يا فارس، لا أعرف كيف أشكرك".

فارس: "لا داعي للشكر يا "ليلى"؛ فنحن أصدقاء، أليس كذلك ☺"؟

ليلى: "نعم ☺".

ثم وجد منها رسالة جديدة: "هل فكرت في خطوتك القادمة كما وعدتني"؟

فارس: "في رأسي عدة أفكار، سأجلس مع نفسي غدًا لأقرر بشكل نهائي".

ليلى: "حسنًا، في انتظار قرارك يا صديقي".

فارس: "تصبحين على خير".

ليلى: "وأنت من أهله، بالتوفيق يا صديقي ☺".

فارس: "وأنت أيضًا بالتوفيق يا صديقتي ☺".

أنهى فارس حواره مع ليلى ثم نام.

وفي تمام السابعة من صباح اليوم التالي استيقظ ثم استعد للذهاب إلى العمل، وصل إلى مكتبه نحو الثامنة صباحًا، أخذ يعمل بسرعة لإنهاء كافة الأمور المهمة، وقَّع الكثير من الأوراق والشيكات وأرسل الكثير من رسائل البريد الإلكتروني في حين كان يشرب قهوته الأمريكية كعادته كل صباح، وعندما جاءت الساعة الحادية عشرة كان قد أنهى كل الأمور العاجلة وكان أيضًا قد شرب ثلاثة فناجين كبيرة من القهوة الأمريكية، أخبر سكرتيرته أنه لن يكون متاحًا بقية اليوم، ترك مكتبه واتجه إلى النادي، دخل إلى المبنى

obeikandl.com

الاجتماعي، انزوى في أحد الأركان، أغلق هاتفه المحمول، طلب كوبًا من عصير البرتقال ثم جلس يشربه بهدوء وبطء، أخذ يسترجع ذكريات الماضي من الطفولة مرورًا بالمراهقة ثم بدايات الشباب وحتى الآن.

كان يحاول وضع يده على نقطة التحول أو نقاط التحول، حاول قدر استطاعته أن يسترجع أحلام الماضي وطموحاته، كان لديه قناعة بأن أحلامه وطموحاته الآن هي طموحات مصطنعة نتيجة الظروف التي فرضها هو على نفسه عندما وافق علنًا أو ضمنًا أن يحيا حياتين: "واحدة في هذا العالم والأخرى مدفونة في رأسه".

حاول أن يعقد مصالحة مع نفسه، فهو الآن أمام الناس متمسك بشكل وسلوكيات وأفكار معينة في حين أنه في داخله قد بدأ يتغير منذ خمسة عشر عامًا، وأفكاره الآن هي مختلفة تمامًا ولديه سلوكيات وأنماط حياة سرية لا يعلمها أحد عنه، وقد الآن الأوان أن يتوقف ذلك، ولكن لكي ينتهي هذ الوضع لا بد من العودة إلى أسباب نشأته، وهكذا عاد خمسة عشر عامًا إلى الخلف، عندما كان في الثلاثين من عمره.

تذكَّر قدر الإمكان أفكاره وقتها، فقد كان في بداية صراع، عندما بدأ يحس أنه يحيا حياة ليست حياته، كان يحس دائمًا أن هناك شيئًا ما ناقصٌ في حياته، كان يحس دائمًا أن هناك شيئًا ما

خاطئٌ، كان يحس أن هناك شيئًا ما بداخله ليس في مكانه، كان يحس أنه هو شخصيّا ليس في مكانه، عندها بدأ يأخذ أولى خطوات التغيير ولكنه جَبُنَ أن يتغير في الظاهر، وبالتالي جعل تغيره يكون في الداخل وفي السر بقدر الإمكان، وأدرك أيضًا أنه قرر وقتها لا شعوريًّا أن يكون ذلك التغيير تدريجيّا وبطيئًا، ربما حتى يستوعبه عقله ولا يحاربه شعوريًّا أو لا شعوريًّا.

أنهى عصير البرتقال، طلب فنجانًا من القهوة التركية، كان يريد مزيدًا من الكافيين ليساعده من أجل مزيد من التركيز، قال في نفسه: "إن العودة بالذاكرة إلى عمر الثلاثين مفيدة؛ فقد كانت بداية الانقسام الذي حدث في شخصيتي وبداية التحول لما أنا فيه الآن، ولكن يبقى السؤال الأهم: لماذا احتجت إلى التحول من الأساس؟ ما الذي حدث قبل ذلك وأوصلني لدرجة أن أعيش حياة أحس فيها بأنني لست في مكاني؟ ما هي آخر لحظة يتذكر فيها أنه كان في مكانه؟ ما هو آخر وقت كان يحس فيه أن كل شيء في داخله موجود في مكانه؟ ما هي آخر فترة في حياته كان يحس فيها أنه ملك لنفسه وليس بحاجة إلى طاعة أحد أو مجاراته فيما لا يحب؟ متى بدأ يترك الآخرين يقررون له حياته؟ متى بدأت مرحلة تغوّل المجتمع والمألوف والسائد عليه؟ متى بدأ كلام رجال الدين يمنعه من التفكير في أحلام وطموحات معينة؟ متى بدأ أهله يدفعونه إلى إتجاهات في الحياة وخيارات لا يريدها؟ ومتى بدأ ينصاع للآخرين؟

متى بدأت العادات والتقاليد الاجتماعية تحدد لـه الفـرق بـين أحـلام مسموح له بتحقيقها وأخـرى مسموح له فقط بإبقائهـا داخـل حـدود عقله"؟

لم تكن تلك أسئلة سهلة، فمن الصعب جدًّا عـلى الإنسـان أن يفهم نفسه، ليـس ذلك بالأمر الهـين كـما يظنـه الكثـيرون؛ فكثـيراً مـا نتوقع أن تكون الإجابة في مكان ولكن بعد البحث والتـدقيق بـداخلنا نجدها في مكان آخـر، وصل بعد التفكير إلى أن الصـيغة المثلى للسؤال هي؛ "متى بدأ ينهزم داخليّا"؟ وصل إلى قناعة بـأن أحلامـه الحقيقيـة وطموحاته المرتبطة به فكـرًا وروحًـا كانـت في تلـك الأيـام والأسابـيع والشهور التـي سبقت نقطة انهزامه الداخلي وانكساره أمام نفسه.

أخذ يعود بذاكرته إلى الوراء سنة بعـد سـنة، يقلِّـب ذكرياتـه ويحللها، يطـرح الأسئلة على نفسه ويحاول الإجابة عليها، وبعد عـدة ساعات مـن الأخـذ والـرد بـينه وبـين نفسـه، وبعـد عـدة محـاولات للإجابة عن ذلك السؤال سهل الصـياغة صعب الإجابة وصل إلى قناعة بأن آخـر فتـرة كان فيها أقرب ما يكون إلى طبـيعته الداخلية وأكثر ما يكـون تمـردًا عـلى السـائد والمـألوف في المجتمـع هـي فتـرة بدايـة العشـرينات من عمره.

تذكَّر كيف كان مليئًا بالطموح والأحلام والخطط للمسـتقبل، كان يظن وقتها أن بمقدوره كسـر تابوه الطاعة الـذي حُبـس بداخلـه

منذ صغره، إنهاؤه دراسته الجامعية أعطاه دفعة معنوية وإحساسًا بالحرية، وظيفته الأولى ضاعفت من شعوره بالاستقلالية، كان مفعمًا بالحيوية، كان متمردًا على أهله وأساتذته في الجامعة ثم على مديره في أول وظائفه، متمردًا على قيود الدراسة في نهايات فترة الجامعة ثم على قيود العمل في بدايات فترة توظيفه، ربما كان يكبح جماح تمرده على رجال الدين لاعتبارات كثيرة بعضها مجتمعية وأخرى لها علاقة بما زُرع بداخله وقت طفولته من أنهم يتكلمون باسم الدين أي باسم الله، إلا أنه يتذكر جيدًا كيف كان يحس وقتها بأن هناك شيئًا ما مما يقولونه ليس في مكانه، تذكَّر جيدًا كيف أنطفأت جذور التمرد تدريجيًا بفعل أمور كثيرة من ضمنها خوف داخلي زُرع بداخله منذ صغره بفعل والديه ثم نما وكبر بعد ذلك ليصبح خوفًا من كل شيء، كذلك ساهمت ظروف الحياة وضغوط العمل في إخماد ذلك التمرد وكبح جماح تلك الأحلام، هنا تذكَّر كيف لم تساعده تنشئته على مجابهة الحياة والتمسك بأحلامه؛ لأن والداه نفسيهما كانا قد تنازلا عن أحلامهما منذ زمن ونقلا تلك السلبية إليه شعوريًّا أو لا شعوريًّا، كانا يريانه في قالب معين فجاءت كل جهود تنشئته تصب في اتجاه قولبته في ذلك القالب المُطيع الساكن غير المتمرد، وبالتالي باءت محاولات تمرده بالفشل سريعًا ولم تستمر إلا شهورًا معدودة.

انتبه لنفسه بعد ساعات من التفكير، فنظر في ساعته فإذا بالساعة نحو التاسعة مساءً، استغرب كيف أن قيامه بالتفكير

والسباحة في بحور ذاكرته لم يجعلاه يدرك مرور كل هذا الوقت، تحرك في اتجاه أحد مطاعم النادي ليتناول الطعام؛ فقد أحس بوخز الجوع في معدته. بعد وصوله إلى المطعم، قام بطلب الطعام، وبعد نحو ربع الساعة، أحضر النادل بعض السلطات وأخبره أن وجبته ستكون جاهزة في غضون عشر دقائق.

أمسك بهاتفه المحمول ثم أرسل رسالة إلى ليلى: "كيف حالك يا ليلى؟ هل قدمت الشكوى"؟

وبعد قليل وجد ردًّا منها.

ليلى: "أجل، لقد ذهبت مع أحد المحامين في المكتب إلى الجهات المختصة وقدمنا شكوى عاجلة، وطلبنا حفظ حقوقي كاملة كزوجة وأم، بما في ذلك طبعًا منعه من طردي".

فارس: "وما هي الخطوة التالية".

ليلى: "سيقوم أحد أعضاء الجهات القضائية باستدعائنا نحن الاثنين للتحقيق في غضون أيام معدودة، وسيتم إعلانه بذلك غدًا أو بعد غد على أقصى تقدير، وبمجرد إعلانه لن يكون بإمكانه اتخاذ أي قرار من تلك القرارات التي كان يهددني بها وإلا سيتعرض لمتاعب قانونية جدِّية".

فارس: "هذه أخبار إيجابية للغاية، إنني سعيد للغاية من أجلك، وأريد أن أخبرك أنني سأضاعف المبلغ الذي سأحوله لك".

ليلى: "شكرًا يا فارس ولكن هذا كثير".

فارس: "عفوًا يا ليلى، في الواقع ليس كل هذا المبلغ لك؛ فالنصف لك والنصف الآخر لي أنا".

ليلى: "ما الذي تقصده بأن النصف الآخر لك؟! هل تريدني أن أدخره لك"؟

فارس: "لا ولكني أريدك أن تعطيه للمحامي كأتعاب له مقابل العمل على الملف الخاص بي والذي سأطلب منك أن تطلبي منه أن يفتحه".

ليلى: "ملف لك خاص بماذا"؟!

فارس: "خاص بالهجرة".

ليلى: "الهجرة"؟!

فارس: "نعم، فأنا أريد الانتقال إلى لندن، أريد الهجرة".

ليلى: "الهجرة إلى هنا"؟!

obeikandl.com

فارس: "نعم، لقد اتخذت القرار منذ قليل بعد يوم كامل من التفكير، فقد كان حلمي الأول والأساسي في مقتبل الشباب أن أهاجر إلى لندن وأعيش فيها وأؤسس عملًا خاصًّا بي هناك".

ليلى: "لقد أوفيت بوعدك إذًا وكنت تفكر في خطوتك التالية ☺".

فارس: "نعم، فقد كنت أفكر طوال اليوم في خطوتي القادمة ☺".

ليلى: "أخبرني بمزيد من التفصيل، كيف توصلت لهذه النتيجة؟ ولماذا لندن"؟

فارس: "لقد استرجعت كل مراحل حياتي وكل المحطات المهمة فيها إلى أن وصلت إلى النقطة التي كسرتني الحياة عندها وبدأت بعدها الانصياع الكامل لضغوط الحياة والعمل ورجال الدين والوالدين والمجتمع، إنها النقطة التي توقفت عندها عن مجرد التفكير في التمرد، توقفت عن التفكير في تجاوز الخطوط الحمراء لقوالب الطاعة المفروضة عليّ، وأخذت أتذكر أحلامي قبل تلك النقطة مباشرة؛ أي قبل أن أستسلم لمبدأ الطاعة للجميع، وتذكرت أن حلمي الأول والأساسي وقتها كان الهجرة إلى بريطانيا وتحديدًا لندن".

ليلى: "تفكير منطقي، ولكن لماذا لندن تحديدًا"؟

فارس: "مدينة عريقة ومتجددة وحديثة، مليئة بالعديد من الثقافات والأعراق، بها تنوع ثقافي وحضاري وعرقي وفني، بالإضافة إلى أنها مزدهرة اقتصاديًّا وواحدة من أشهر الوجهات السياحية في العالم، لقد قرأت عنها الكثير وعرفت عنها الكثير عن طريق وسائل الإعلام والأعمال الفنية".

ليلى: "تحليل منطقي، أنا سعيدة من أجلك ☺، يقال إن تحديد الهدف بدقة يجعلك تقطع نصف المسافة اللازمة لتحقيقه".

فارس: "الحمد لله، فأنا سعيد للغاية، أشعر بشعور غريب ربما هو مزيج من السعادة والراحة النفسية والرغبة في العمل على تحقيق الحلم، أشعر أخيرًا بأن عندي هدفًا أسعى لتحقيقه، هدف حقيقي وليس مصطنعًا، هدف نابع من داخلي وليس مفروضًا عليّ من المجتمع أو الثقافة أو العادات أو التقاليد".

ليلى: "أنا سعيدة للغاية من أجلك ☺".

فارس: "وأنا أيضًا سعيد للغاية من أجلك ☺".

ليلى: "سأخبر المحامي أنك تريد الهجرة إلى هنا وسأخبرك برده".

فارس: "شكرًا جزيلًا يا ليلى، سأنتظر آخر التطورات بخصوص موضوعك أيضًا".

ليلى: "حسنًا، سأخبرك بالتطورات أولًا بأول".

فارس: "سأنتظر رسائلك، تصبحين على خير ☺".

ليلى: "وأنت من أهل الخير ☺".

نام فارس ليلته ملء جفونه، نام مطمئنًا واثقًا مرتاحًا، أحس أن حياته قد بدأ يكون لها معنًى وهدف، نام بعمق وكأنما كان يشحن بطاريات جسده وذهنه لعمل كثير فيما يأتي من أيام، توقع فارس أيضًا أن تكون ليلى قد نامت مطمئنة في ذلك اليوم؛ فطمأنة المحامي لها ستساعدها على تخطي تهديدات زوجها وبالتالي ستتمكن من التخطيط لحياتها بحرية واستقلال.

نهض فارس في صباح اليوم التالي، واتجه إلى عمله بمنتهى النشاط والحيوية، طلب من المحاسبين في كلتا الشركتين إعداد مركز مالي حديث يوضح الموقف المالي والربحية والسيولة النقدية لكلتا الشركتين، وكذلك أخذ يراجع حساباته في البنوك ليعرف على وجه الدقة موقفه المالي، دخل على أحد مواقع شبكة المعلومات الدولية، ثم أخذ يبحث عن أسعار شراء وإيجار الشقق والمنازل داخل لندن وفي الضواحي المحيطة بها.

وفي نحو الواحدة ظهرًا نظر إلى هاتفه المحمول فوجد الرسالة التي كان ينتظرها منذ الصباح.

ليلى: "هناك أخبار إيجابية لك".

فارس: "بخصوص موضوع هجرتي"؟

ليلى: "نعم، فقد أخبرت المحامي بما تفكر فيه، وقمت بدفع ألف جنيه استرليني مقدمًا للأتعاب، وسيقوم أحد المحامين المتخصصين في شئون الهجرة في المكتب بإرسال بريد إلكتروني لك في غضون يومَي عمل به شروط الهجرة التي علمت أنها ليست معقدة".

فارس: "ما الذي تقصدينه بأنها ليست معقدة"؟

ليلى: "ستحتاج نحو مائة ألف جنيه استرليني كاستثمار".

فارس: "فقط"؟

ليلى: "هذا هو الشرط الرئيسي، هناك بعض الأمور الفرعية الأخرى وأعتقد أنها تنطبق عليك".

فارس: "هذه أخبار سارة، أعتقد أنه مبلغ معقول وأستطيع تدبيره".

ليلى: "هذا رائع، أي إنك من الممكن أن تكون معنا في لندن في غضون ستة أشهر كما قال لي المحامي".

فارس: "أتمنى ذلك يا ليلى، عمومًا سأنتظر البريد الإلكتروني الذي سيرسله المحامي ثم سأتصرف بناء عليه، وسأخبرك بكل التطورات".

ليلى: "إنني سعيدة للغاية من أجلك ☺".

فارس: "وأنا أيضًا سعيد للغاية من أجلك ☺، أخبريني بما سيحدث عندما يستلم زوجك الإعلان".

ليلى: "بالتأكيد سأخبرك بكل شيء".

فارس: "سأذهب الآن للبدء في ترتيب أموري المادية".

ليلى: "وأنا سأذهب لأبدأ رحلة بحثي عن العمل؛ فقد قررت أن أعمل لاستقلَّ ماديًّا وسأبدأ البحث منذ الآن".

فارس: "خطوة رائعة، لقد أصبحت خطواتك سريعة وإيجابية".

ليلى: "أجل، أنا أحاول، وشكرًا لتشجيعك".

فارس: "لا شكر بين الأصدقاء، سلام يا صديقتي ☺".

ليلى: "سلام يا صديقي ☺".

obeikandl.com

بعد نحو أربع ساعات جاءته رسالة بريد إلكتروني من مكتب المحاماة في لندن، احتوت الرسالة على الشروط والمتطلبات اللازمة للهجرة والانتقال إلى بريطانيا، قرأ الرسالة بدقة عدة مرات، أخذ يرتب خطواته في رأسه، وضع تصورًا لسيناريو الهجرة كاملًا في عقله، أعدَّ ردًّا على الرسالة به بعض التساؤلات كما جاء به سؤال واضح عن الخطوة التالية والخطوات ما بعد التالية.

قام بمراجعة الرد ثم أرسله، أحس بسعادة غامرة، فهو الآن على أعتاب مرحلة جديدة من حياته وهي مرحلة لم يكن يحلم بها منذ أسبوع مضى، استعاد حلمًا قديمًا ونفض التراب عنه، والأهم أنه استعاد زمام المبادرة في حياته وأصبح يحاول جاهدًا أن يقوم بالفعل وعدم الاكتفاء برد الفعل.

بعد أن أرسل رده للمحامي، بعث برسالة نصية إلى ليلى: "لقد جاءني بريد إلكتروني من المحامي، الشروط معقولة للغاية، والإجراءات ليست معقدة، سأبدأ في الإجراءات على الفور".

بعد عدة دقائق قرأ على محموله رسالة قادمة من ليلى: "لم أتوقع أن يرسلوا لك بهذه السرعة ☺".

فارس: "وأنا أيضًا، إني متفائل وسعيد للغاية، في الواقع لم أتوقع يومًا أن أكون في هذه الدرجة من السعادة ☺".

ليلى: "أريد أن أطلب منك طلبًا".

فارس: "بالتأكيد، تفضلي".

ليلى: "أريدك أن تستثمر هذه السعادة، أن تبني عليها منذ الآن خططك للخطوات القادمة بعد أن تصل إلى هنا".

فارس: "هل تخافين أن يجرفني تيار السعادة بحيث أنسى التخطيط للمستقبل"؟

ليلى: "أجل يا فارس، تيارات الفرح والحزن الشديدة غالبًا ما تجعل الإنسان غير قادر على السيطرة على نفسه وانفعالاته وخططه".

فارس: " حسنًا، أطمئنك بأنني بدأت بالفعل في دراسة وضعي المالي وكذلك الوضع المالي لكلتا الشركتين على وجه الدقة تمهيدًا للخطوة القادمة".

ليلى: " هذه بداية جيدة ولكنني سأطلب منك طلبًا آخر أكثر تحديدًا".

فارس: "وما هو"؟

ليلى: "أريدك أن تجيب لنفسك عن سؤالين؛ الأول: ماذا ستفعل وماذا ستكون وظيفتك عندما تأتي إلى لندن؟ والسؤال الثاني: كيف ستحقق ذلك وما هي خطتك لتنفيذه"؟

فارس: "سأحول المائة ألف استرليني إلى صندوق استثمار ولكني أريد أن أعمل في مجال السياحة، لم أحدد بعد هل معي ما يكفي من أموال لتأسيس شركة أم سأعمل موظفًا".

ليلى: "ولماذا لا تؤسس الشركة بالمائة ألف استرليني"؟

فارس: "ستكون مخاطرة مضاعفة، في حالة خسارتي سأكون قد خسرت كل شيء؛ المدخرات والشركة، ولكنني أريد أن تكون مدخراتي في وعاء استثماري منفصل عن شركتي الجديدة الصغيرة إن أسست شركة، وبعيدة عن وظيفتي إن قررت البحث عن وظيفة".

ليلى: "تفكير متحفِّظ ولكنه منطقي إلى حد كبير، ولكنني أريدك أن تجيب لنفسك على هذه التساؤلات خلال أسبوع كحد أقصى، لا بد أن يكون ذهنك صافيًا ومحددًا باتجاه هدف واضح ومحدد".

فارس: "حسنًا، سأحاول".

obeikandl.com

ليلى: "لا أريدك أن تكتفي بالمحاولة، أريدك أن تعدني أنك ستفعل ذلك ☺".

انتظر فارس عدة دقائق قبل أن يرسل لها رسالة: "حسنًا، أعدك ☺".

ثم أرسل لها رسالة أخرى: "هل يوجد أي جديد مع زوجك والأولاد"؟

ليلى: "كل شيء كما هو، أمل هي المقربة والتي تتقبلني وتتقبل قراراتي، أما أحمد فما زال ممتعضًا بعض الشيء، أما مصطفى فلم يكلمني أو أكلمه منذ الأمس".

فارس: "هل يوجد أية تطورات بخصوص الإعلان الخاص بالتحقيق في الشكوى التي قدمتها؟ متى سيصله"؟

ليلى: "غدًا على أقصى تقدير كما أخبرني المحامي، عمومًا لقد أخبرني أيضًا أنه يقوم بكل الاتصالات والترتيبات الممكنة لكي يتم إعلانه غدًا، بغضِّ النظر عن الموعد الذي ستحدده النيابة أو القاضي لسماعنا".

فارس: "سيكون شيئًا جيدًا إذا تم إعلانه غدًا، أخبريني بالتطورات أرجوك".

ليلى: "بالتأكيد".

obeikandl.com

فارس: "سأذهب الآن لأعد الخطط كما طلبت مني".

ليلى: "بالتوفيق يا صديقي، سلام ☺".

فارس: "سلام ☺".

أنهى فارس حواره معها، ثم وضع قرصًا مدمجًا عليه موسيقى هادئة، أخذ يستمع إليه لمدة ساعة تقريبًا، قبل أن يمسك بحاسبه الشخصي المحمول ويبدأ رحلة التخطيط لخطواته القادمة ولما يريد فعله عندما ينتقل إلى لندن.

أخذ يقرأ عن لندن ويضيف إلى ما يعرفه عنها قبل ذلك، أخذ يجمع المعلومات عن قطاع السياحة في لندن والفرص المتاحة سواء للاستثمار أو للعمل، انهمك في قراءة التقارير والتعليقات عن أفضل المجالات المتاحة للمهاجرين من دول أخرى ويبحثون عن الاستقرار في عاصمة الضباب، أخذ يجمع كل المتاح عن أماكن الإقامة في لندن ومميزات وعيوب كل حي وما هو الأفضل بالنسبة له، انهمك في كل ذلك حتى الساعة الثانية صباحًا عندما غلبه النعاس فنام مع وعد من نفسه لنفسه بأن يواصل رحلة البحث عند استيقاظه في صباح اليوم التالي.

استيقظ صباح اليوم التالي قبل موعده المعتاد بساعة كاملة، جهز نفسه ثم ذهب سريعًا إلى مكتبه، وصل نحو السابعة

والنصف صباحًا، كان اليوم عطلة إلا أنه أخذ يعمل وحده، انهمك في العمل بشكل كبير حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، كان يريد ترتيب كل شيء وكأنه يستعد لانطلاقة ما، لم يحس بالوقت مطلقًا، حتى وجد هاتفه المحمول يرن منبئًا باستقبال رسالة نصية، أحس أنها جاءت في وقتها، فقد بدأ يحس بحاجته إلى شيء من الراحة الذهنية، قرأ الرسالة وإذا بها من ليلى كما توقع: "لقد اتصل بي مصطفى منذ دقائق، قال لي إنه تم إعلانه من قبل الجهات القضائية بأنني قدمت شكوى ضده لحفظ حقوقي، وأن القاضي حدد موعدًا لسماعنا بعد نحو أسبوعين".

فارس: "هل كنت تعلمين قبله بتوقيت إعلانه"؟

ليلى: "نعم، أخبرني المحامي قبلها بقليل، لقد بذل المحامي جهدًا كبيراً للإسراع بهذه الخطوة".

فارس: "وماذا كانت ردة فعل زوجك"؟

ليلى: "لقد قال لي إنه غير مصدق لما فعلته وإنه مستاء للغاية وإنه أصيب بخيبة أمل كبيرة مني ومن تصرفاتي".

فارس: "وماذا كان ردك"؟

ليلى: "لقد قلت له إنني فعلت ذلك فقط للحفاظ على حقوقي؛ فلم أكن على استعداد أن أجد نفسي في الشارع، ولم أتقبل فكرة أنك تفكر في شيء واحد فقط وهو السيطرة الكاملة عليّ والبديل أن تطردني من بيتي وحياتك".

فارس: "رد منطقي، وماذا قال"؟

ليلى: "كلام مرسل، كلام من القوالب الجاهزة والأفكار المعلبة التي تنتمي لمئات السنين قبل اليوم، المهم أنني تمسكت بموقفي وقلت له بوضوح: إما أن تقبل ليلى الجديدة، ليلى الإنسانة التي تفكر وتقرر بنفسها ولنفسها أو أن ننفصل مع حصولي على كامل حقوقي".

فارس: "وبماذا أجاب"؟

ليلى: " لم يكن مصدقًا لما أقول، وحاول أن يقنعني بألا أعمل وأن أضع الحجاب مرة أخرى وأخذ يذكرني بوجوب طاعة الزوج".

فارس: "اثبتي على موقفك، إنه يريد جارية أو شبه جارية على الأقل".

ليلى: "بالضبط، لقد تكلمت مع المحامي في خطوات الطلاق، وسأكلم القاضي أيضًا في الجلسة بعد أسبوعين".

فـارس: "هـذا شـيء ممتـاز، لا بـد أن تكـوني مسـتعدة لجمـيع الاحتمالات".

ليلى: "وأنت؟ هل يوجد جديد"؟

فـارس: "لقـد أمضـيت عـدة سـاعات بـالأمس أجمـع كـل البـيانات والمعلومات المتاحة عن لندن والسكن فيها وقطاع السياحة فيها، أما اليـوم فأمضـيته كلـه حتـى الآن في العمـل ووضـع الخطـط لترتـيب الوضع في الشـركتـين، سأواصـل جمـع المعلومـات عـن لنـدن ودراسـة الفرص المتاحة عندما أعود إلى المنزل مساءً".

ليلى: " حسنًا، سأرسل إليك في المساء لأطمئن عـلى مـدى التقـدم الـذي يحدث".

فارس: "وأيضًا لتطمئنيني على ما يحدث معـك، ومـاذا سـيكون عليـه لقاءكما أنتِ ومصطفى وجهًا لوجه".

ليلى: "حسنًا، بالتأكيد، سلام ☺".

فارس: "سلام ☺".

أنهـى فـارس حديثـه عبـر الرسـائل النصـية معهـا ثـم عـاد للانهماك في عمله مرة أخـرى حتى نحو السادسـة مسـاءً عنـدما غـادر مكتبه واتجه إلى منزله، ارتاح قليلًا، تناول طعامه، أخذ حمامًـا سـاخنًا،

ثم واصل رحلة البحث عن حلمه في لندن حتى نحو الثانية عشرة منتصف الليل عندما وجد هاتفه يرن، وإذا بها رسالة من ليلى.

ليلى: "لقد مر لقاؤنا بهدوء، يبدو أن مصطفى ما زال في مرحلة الصدمة، يبدو أنه ما زال يبحث عن ليلى القديمة، ما زال يحاول استدعاء وهم أو شبح من داخلي، لقد أمضى نحو ساعتين يطلب مني أن أعود إلى ما كنت عليه قبل سنوات، إنه يرفضني تمامًا كما أنا الآن، انتهى حوارنا بنفس الجملة التي قلتها له صباحًا، إذا أردت الانفصال فسأسعى للحصول على حقوقي كاملة، وإذا أردت ليلى الجديدة فأنا أمامك ومعك".

فارس: "وبماذا أجاب"؟

ليلى: "مواعظ لا تنتمي لهذا العصر".

فارس: "حافظي على موقفك".

ليلى: "هذا بالضبط ما سأفعله".

فارس: "والأولاد"؟

ليلى: "كالعادة، أمل تتفهمني، وأحمد يميل قليلًا نحو والده ولكن بهدوء".

فارس: "أظن أن الأمور ستمضي بهدوء؛ فقد عرف كل شخص حدوده وحدود الآخرين أيضًا".

ليلى: "أجل، سنرى كيف سيتطور موقفه منذ الآن وحتى موعد جلسة الاستماع".

فارس: "أجل، وعمومًا فقد حفظت لك تلك الشكوى حقوقك إلى حد كبير".

ليلى: "أجل، وهذا ما يطمئنني".

فارس: "استمري، وبالتوفيق".

ليلى: "شكرًا، هل من جديد عندك"؟

فارس: "ما زلت في رحلة بحثي ودراساتي عن حلمي وكيفية تجسيده في لندن، وما زلت في مرحلة ترتيب الأوضاع في مصر".

ليلى: "استمر يا صديقي، عمومًا بقي لك من المهلة ستة أيام".

فارس: "نعم، أعلم تمامًا وأنا على الطريق".

ليلى: "بالتوفيق، سلام، تصبح على خير ☺".

فارس: "تصبحين على خير ☺".

obeikandl.com

ومرت الأيام الستة التالية على فارس بنفس الوتيرة؛ عمل جاد طوال النهار لترتيب أوضاع شركتيه المالية والإدارية وإعادة ترتيب علاقاته مع شركائه، أما مساءً فأخذ يحاول دراسة ومعرفة كل ما هو متاح عن لندن والإقامة فيها والعمل بها، قرأ كل ما يمكن قراءته، سأل كل من يمكن سؤاله، تابع مع مكتب المحاماة وسأل كل الأسئلة التي يريدها، أخذ يراجع الخيارات المتاحة أمامه والخطوات المقترحة من قبل المكتب وما هو الأفضل بالنسبة له، وفي وسط كل هذا كان على اتصال يومي بـ ليلى ليعرف منها أخبارها وينصحها وأيضًا لكي يستشيرها في أموره.

وفي نهاية مهلة الأيام السبعة كانت الأمور قد اتضحت في ذهنه إلى حد كبير، وعند الساعة الحادية عشر ليلًا تقريبًا أرسل إلى "ليلى".

فارس: "مساء الخير يا صديقتي ☺".

ليلى: "مساء النور يا صديقي ☺".

فارس: "بقيت ساعة على مهلتك لي".

ليلى: "أعلم ☺. أتمنى أن تكون قد وصلت إلى خطة".

فارس: "أجل، لقد تبلورت الخطة في رأسي".

ليلى: "وما هي خطتك"؟

فارس: "لقد قررت أن أبيع حصتي في شركة النقل السياحي لشركائي وأيضًا سأبيع لهم شركة الأفواج السياحية، وقد اتفقت معهم على ذلك".

ليلى: "وهل ستؤسس شركة هنا بحصيلة بيعك"؟

فارس: "سأضع الحصيلة مع مدخراتي النقدية كلها وأيضًا مع حصيلة بيعي لسيارتي الخاصة وشقتي الصغيرة ثم سأخصص مبلغ مائة ألف استرليني أقوم باستثماره في أحد صناديق الاستثمار لمدة خمس سنوات للحصول على الإقامة الدائمة والجنسية، أما المبلغ المتبقي فسوف أؤسس به شركة لإيجار السيارات في لندن".

ليلى: "إيجار السيارات"؟!

فارس: "أجل، إنه مجال مربح وعليه طلب جيد في لندن، سوف أؤسس شركة صغيرة، فقد قررت أن أبدأ نشاطي بسيارتين صغيرتين فقط لا غير، وسأخصص سائقًا لكل سيارة بحيث لا تخرج السيارة لعميل إلا بالسائق".

ليلى: "يبدو أنك فكرت في كل شيء".

فارس: "أجل، وقد وافق اثنان من شركائي هنا على مشاركتي في الشركة الجديدة في لندن".

ليلى: "هذه أخبار جيدة للغاية".

فارس: "نعم وسنبدأ الإجراءات فورًا مع مكتب المحاماة".

ليلى: "هذه أخبار رائعة، بالتوفيق يا صديقي العزيز ☺".

فارس: "شكرًا يا صديقتي العزيزة ☺. وأنت ما هي آخر أخبارك"؟

ليلى: "لا جديد، ما زال زوجي يحاول إعطائي محاضرات ومواعظ من الأفكار المعلبة سابقة التجهيز، وما زال أمامنا نحو أسبوع إلى أن يحين موعد جلسة الاستماع، اعتقد أنها ستمضي على نفس الوتيرة".

فارس: "والأولاد"؟

ليلى: "كما هما، لا جديد وإن كان أحمد أصبح يتجنب إظهار اعتراضه على تصرفاتي ويعاملني بشكل شبه طبيعي".

فارس: "هل أصبح مقتنعًا بما تفعلينه"؟

ليلى: "لا أظن أنه وصل إلى مرحلة الاقتناع ولكن لنقل إنه أصبح أقل اعتراضًا أو محايدًا على أفضل تقدير".

obeikandl.com

فارس: "هذا جيد، ربما بدأ يتذكر أنه وُلِدَ وعاش في بـريطانيا".

ليلى: "أجل، ربما تذكَّر أنه ابن شـرعي للحـرية وليـس للكبت ☺".

فارس: ☺.

ثم أرسل لها رسالة جديدة.
فارس: "هل من جديد بخصوص العمل"؟

ليلى: "سأقوم بمقابلة شخصـية الأسبوع القادم، إنهـا وظيفـة في فنـدق صغير كموظفة استقبال ولكنها سـتكون بدايـة جيـدة إن تمكنـت مـن الحصول عليها".

فارس: "أجل، ابدئي من أية نقطة، المهم أن تبدئي".

ليلى: "هذا ما فكرت فيه، فأنا لم أعمل مطلقًا قبل ذلك، وأيـة وظيفـة ستعتبـر بداية جيدة".

فارس: "بالتوفيق يا صديقتـي، أرجو أن تواظبـي على إرسال أخبارك".

ليلى: " وأنت أيضًا يا صديقي، أرسل لي أخبارك أولًا بأول".

فارس: "تصبحين على خير ☺".

obeikandl.com

ليلى: "وأنت من أهله ☺".

انهمك فارس لمدة أسبوع في مراسلات مع مكتب المحاماة في لندن ومع مكتب محاميه الآخر في الإسكندرية، جهز عقود الشركة الجديدة في لندن وعقود البيع لشركائه في الإسكندرية، رتب مع البنوك تحويلاته النقدية، وتقدم للجهات الأمنية للحصول على الموافقات والأوراق اللازمة.

وبعد مضي أسبوع، لاحظ فارس أنه لم يراسل ليلى طوال سبعة أيام كاملة، لم يسأل عليها ولم تسأل عليه، شعر ببعض القلق وأيضًا ببعض تأنيب الضمير، فقرر أن يرسل لها ليطمئن عليها.

فارس: "كيف حالك يا ليلى"؟

بعد عدة دقائق جاءه الرد.
ليلى: "أنا بخير، لقد افتقدتك كثيراً".

فارس: " وأنا أيضًا، افتقدتك كثيراً، ولكنني انشغلت للغاية الأسبوع الماضي".

ليلى: "لقد مر الأسبوع كاملًا دونما سؤال أو كلام، يبدو أن دوري في حياتك بدأ يقل".

فارس: "لا تقولي ذلك أرجوك؛ فما أنا فيه الآن يرجع الفضل الأول فيه لك".

ليلى: "ليس لي أنا يا صديقي، ولكن لتلك الليلة في ڤيينا".

فارس: "وهل تلك الليلة إلا ليلى؟! وهل تلك الليلة إلا أنت"؟

ليلى: ☺ ☺.

فارس: "طمئنيني عليك، ما الجديد عندك"؟

ليلى: "لقد كانت جلسة الاستماع اليوم".

فارس: "أجل، لقد تذكرت ذلك، وما الذي حدث"؟

ليلى: "لقد اتفقنا على الطلاق".

فارس: "بهذه السرعة".

ليلى: "أجل، لقد أخبرني مصطفى صباح اليوم أنه لن يستطيع الحياة مع زوجة غير مطيعة وغير ملتزمة بتعاليم الإسلام من وجهة نظره، وأخبرني أن مسألة تهديده لي بالطرد كانت للضغط عليّ لكي أرجع عن قراراتي الجديدة".

فارس: "وماذا قرر القاضي في النهاية"؟

obeikandl.com

ليلى: "وفقًا لاتفاقنا سنُطلق وفقًا للقانون البريطاني في غضون شهرين، سيحتفظ هو بالبيت وسيقيم أحمد معه بناء على رغبة أحمد، في حين سيدفع لي ما يكفي لتأجير شقة جيدة ومناسبة لي وستقيم معي أمل وفقًا لرغبتها، وقد وافق كلانا على حق كل منا في رؤية الولدين في أي وقت، كما سيقوم هو بالإنفاق عليهما، واتفقنا على أن يدفع لي مؤخر الصداق والنفقة وفقًا للشريعة الإسلامية ولكن لن يدفع لي أي شيء آخر".

فارس: "يبدو هذا اتفاقًا جيدًا".

ليلى: "نعم، وقد اتفقنا على أن نُطلق وفقًا للشريعة الإسلامية في نفس التوقيت، أي إني بعد شهرين سأكون امرأة حرة تمامًا".

فارس: ☺.

ليلى: "وماذا عنك"؟

فارس: "أنا أسير في إجراءاتي بأقصى سرعة ممكنة، وفقًا لآخر مراسلاتي مع المحامي، ربما أكون في بريطانيا بعد ثلاثة أشهر".

ليلى: "رائع".

فارس: "أجل، وسأقوم غدًا بتحويل مبلغ نقدي آخر لك".

ليلى: "لماذا"؟

فارس: "أولًا استكمالًا لأتعاب محاميك".

ليلى: "شكرًا جزيلًا يا فارس".

فارس: "عفوًا يا ليلى، والجزء الآخر استكمالًا لأتعاب محاميَ أنا، أرجو منك أن تسلميها له وتخبريه أنني سأحوِّل له أتعابه عن طريق البنك بعد ذلك؛ فأنا لا أريد إزعاجك أكثر من هذا".

ليلى: "حسنًا، لا توجد مشكلة".

فارس: "وجزء ثالث من المبلغ لكِ لكي تتمكني من استئجار شقة وتأثيثها".

ليلى: "لا يوجد داعٍ لذلك يا فارس؛ فكما قلت لك سيستأجر مصطفى لي شقة وفقًا لاتفاقنا".

فارس: "أعلم ولكنه سيستأجر الشقة فقط ولن يجهزها بأثاث أو أجهزة، كما أنه وفقًا لاتفاقكما سيعطيكِ مبالغ المؤخر والنفقة بعد شهرين من الآن وأنا أريدك أن تبدئي فورًا ولا تنتظري. استخدمي النقود التي سأرسلها في إيجاد شقة مناسبة في منطقة جيدة وأبدئي التأثيث ثم عندما يبدأ هو في سداد مستحقاتك، استخدمي تلك

النقود في استكمال التجهيزات والتأثيث، أريـدك أن تكسبــي وقتًـا ولا تتـراجعي".

ليلى: "شكرًا جزيلًا يا فارس، لا أعرف كيف أشكرك".

فارس: "لي عندك طلب صغير".

ليلى: "وما هو"؟

فارس: "سأرسل لك مبلغًا إضـافيًا مـن المـال لـكي تـستأجــري لي شـقة مجاورة لشقتك".

ليلى: "حقًّا؟ سنصبح جيرانًا"؟!

فارس: "أجل، فأنا لا أريد أن أقيم في فنادق، وبما أن لي صديقة عزيـزة ومقربة في لندن فلماذا أسكن بعيدًا عنها"؟!

ليلى: "هذه أخبار ممتازة".

فارس: "سأرسل لك كل هذه المبالغ غدًا صباحًا، وسـأبلغك بتطـورات إجـراءاتـي مع المحامـي أولًا بأول، وسأفوض المحامــي أن يوقّـع عقـد الشقة التـي ستختارينها دون الرجوع إليّ".

ليلى: "وأنا سأبلغك بتطورات الموقف عندي أولًا بأول".

obeikandl.com

فارس: "حسنًا يا عزيزتي، حظًا جيدًا وتصبحين على خير ☺".

ليلى: "تصبح على خير ☺".

مرت الأيام وفارس منهمك في التحضير لخطوته الأهم في حياته، وفي غضون شهرين كان قد انتهى من ترتيب كل أموره ماديًا وإداريًا وقانونيًا في مصر مع شركائه وكذلك رتب أمور حياته الخاصة، كان هدفه أن يحقق حلمه وينتقل ليعيش في لندن بشكل نهائي، أما بخصوص إجراءاته مع المحامي في لندن فقد تسارعت حتى وصلت إلى مرحلة متقدمة.

وفي نهاية الشهرين تقريبًا حوّل مبلغ المائة ألف جنيه استرليني إلى أحد صناديق الاستثمار المعترف بها من الحكومة البريطانية للحصول على الإقامة، وفجأة جاءت ليلى على باله، انتبه أنهما لم يتواصلا منذ نحو شهرين كاملين، استغرب نفسه واستغربها كثيراً، لم يستطيع أن يحدد لماذا قل كثيراً معدل تواصلهما عنه في بدايات تعارفهما، أرسل لها رسالة على هاتفها.

فارس: "كيف حالك يا ليلى؟ أنا أفتقدك كثيراً، لقد اختفيت تمامًا منذ شهرين".

بعد عدة دقائق جاءه الرد.

ليلى: "أهلًا يا فارس، كيف حالك يا صديقي، أنا أيضًا أفتقدك كثيراً، أنت الذي اختفيت منذ شهرين ولم تتواصل معي مطلقًا".

فارس: "لقد رتبت كثيراً من أموري، وحولت منذ قليلٍ مبلغ المائة ألف استرليني المطلوبة مني، لم يبقَ لي الآن سوى أن أستأجر شقة في لندن".

ليلى: "لقد أصبح حلمك على وشك التحقيق ☺"

فارس: "أجل يا ليلى، فبعد شهر من الآن سأحصل على كل الأوراق والمستندات والموافقات اللازمة لي للانتقال إلى بريطانيا".

ليلى: "وأنا عندي لك خبر سيعجبك ☺".

فارس: "وما هو"؟

ليلى: "لقد وقعت عقدًا لاستئجار شقة لك في لندن".

فارس: "حقًّا"؟!

ليلى: "أجل، وقع محاميك العقد منذ دقائق، ستتسلم الشقة بعد شهر من الآن، لقد وقع العقد نيابة عنك واتفقت أنا مع المالك على كل الشروط. وهو بالمناسبة بريطاني من أصل عربي".

فارس: "إنني في غاية السعادة ☺".

ليلى: "سنسكن أنا وأنت في نفس الطابق".

فارس: "هذه أخبار رائعة، لا تتصوري مدى سعادتي، وماذا عنك؟ ما هي أخبارك"؟

ليلى: "لقد اتفقت مع مصطفى على كل شيء وأنهينا معظم الإجراءات مع المحامين، سيتم الطلاق بعد يومين".

فارس: "لا أعرف إن كان من اللائق أن أقول لك "مبروك" في مثل تلك المواقف".

ليلى: "نعم، من اللائق؛ فهذه خطوة باتجاه الأفضل لي وله ولأولادنا".

فارس: "حسنًا، مبروك".

ليلى: "شكرًا يا فارس".

فارس: "سلام مؤقت الآن، فسأذهب لزيارة والدي ☺".

ليلى: "سلام يا صديقي العزيز ☺".

بعد شهر بالتمام والكمال، كان فارس قد استكمل مستنداته وحصل على جميع موافقاته وأنهى وجهز كل أوراقه، حجز تذكرة

obeikandi.com

الطيران، ودع أهله وأصدقاءه وشركاءه على وعد باللقاء في زيارة قريبة للإسكندرية خطط لها أن تكون بعد ثلاثة أشهر، وصل إلى المطار، أنهى إجراءات السفر، صعد إلى الطائرة، وقبل الإقلاع تذكَّر ليلى مرة أخرى، تذكَّر أنه لم يتواصل معها منذ شهر، استشاط غضبًا من نفسه، لماذا لم يعد يتواصل معها، كما غضب منها أيضًا حيث لم تعد تتواصل معه، أرسل لها رسالة نصية.

فارس: "كيف حالك يا ملهمتي، أنا الآن في الطائرة في طريقي إلى لندن، أخيراً سأحقق حلمي بالهجرة إلى بريطانيا والعيش في لندن".

مرت عدة دقائق، لم يحصل خلالها فارس على رد لرسالته، أعاد إرسال الرسالة مرة أخرى، وبعد خمس دقائق طلبت منه المضيفة أن يغلق هاتفه استعدادًا لإقلاع الطائرة، وبالفعل أغلق هاتفه دون أن يستقبل ردًّا من ليلى.

بعد عدة ساعات وصل إلى لندن، أنهى إجراءات وصوله، ثم اتجه إلى الشقة التي استأجرتها له ليلى، وصل إلى المبنى، اتجه إلى مسئول الأمن وأخرج له صورة من العقد فأخبره مسئول الأمن أنه بالفعل يترقب وصوله وأن محاميه وكذلك مالك الشقة قد أبلغا الأمن بالتفاصيل، اصطحبه عامل الأمن إلى شقته، دخل فارس إلى الشقة، غادر عامل الأمن عائدًا إلى مكتبه، وضع فارس حقائبه ثم جال سريعًا في الشقة وتفقَّدها، بعدها قرر أن يذهب للسلام على ليلى،

خـرج من باب شقته، وجد أن طابقه به ثلاث شقق أخـرى، لم يعـرف في أيها تقطن ليلى، أرسل عدة رسائل لها ولكن دون أن يتلقى إجابـة، قرر أن يـسأل الأمن، وبالفعل نزل إلى مكتب الأمن.

فارس: "من فضلك أخبـرني في أي شقة تـسكن ليلى"؟

مسئول الأمن: "ليلى"؟!

فارس: "نعم، ليلى، لقد أخبـرتني أنها تـسكن في نفـس الطـابق الـذي أسكن أنا فيه".

مسئول الأمن: "عفوًا يا سـيد فارس، لا يوجـد في طابقـك أو في البنايـة كلها أية ساكنة بهذا الاسم".

فارس: "ماذا؟ غير معقول؟ أرجو أن تتأكد مرة أخـرى".

مسئول الأمن: "أنا متأكد يا سـيد فارس، المبنى كلـه بـه سـت عشـرة شقة فقط، وأنا أعمل هنا منذ خمسة أعـوام وأعـرف كـل السـكان، لا يوجد لدينا ليلى".

فارس: " شكرًا، قالها بمزيج من الانزعاج والدهشة والحيرة ثم صعد إلى شقته".

أمسك بهاتفه المحمول ليرسل لها رسالة أخرى، فجأة لم يجد رقم هاتفها، بحث في الرسائل المخزنة على هاتفه فلم يجد أيًّا من الرسائل التي تبادلاهما منذ التقيا في ڤيينا قبل عدة أشهر، أصيب فارس بحيرة شديدة، لم يفهم ما الذي يحدث، اتصل بمحاميه على الفور.

فارس: " مساء الخير، كيف حالك، آسف أنني أتصل بك مساءَ وبعد مواعيد العمل ولكنني فقط أردت أن أخبرك بأنني وصلت إلى لندن وأنا الآن في شقتي".

المحامي: "مساء الخير يا سيد فارس، حمدًا لله على سلامتك، لا يوجد مشكلة أبدًا، تستطيع الاتصال بي في أي وقت".

فارس: "شكرًا جزيلًا يا سيدي، سأمر عليك غدًا - كما اتفقنا - في المكتب لاستكمال خطوات الحصول على الإقامة الدائمة، وأيضًا لاستئناف خطوات تأسيس شركة تأجير السيارات".

المحامي: "أهلًا وسهلًا بك يا سيد فارس، سأنتظرك في تمام الساعة الثانية ظهراً".

فارس: "سأكون عندك في الموعد، وبالمناسبة عندي سؤال لك".

المحامي: "تفضَّل يا سيد فارس".

فارس: "هل رأيت السيدة ليلى مؤخراً".

المحامي بنبرة اندهاش: "السيدة ليلى"؟!

فارس: "نعم، السيدة التي أرسلت لك أول دفعتين من الأتعاب عن طريقها".

المحامي: "لا أذكر وجود أية سيدة، فقد أرسلت لنا أول دفعتين من الأتعاب عن طريق إحدى شركات تحويل الأموال ثم بعد ذلك أصبحت ترسل كل أتعابك عن طريق تحويلات بنكية".

فارس: "إنها السيدة المصرية التي اختارت لي الشقة".

المحامي: "الذي أتذكره أن من أختار لك الشقة هي سيدة بولندية تعمل في أحد مكاتب السمسرة العقارية هنا".

فارس: "ماذا؟! هل أنت متأكد"؟!

المحامي: "نعم متأكد، فأنا من رشَّح لك ذلك المكتب المتخصص في السمسرة العقارية وقد أعجبت أنت بخدماتهم كثيراً لدرجة أنك قلت لي إنك تفوضني أن أوقِّع عقد الشقة التي سيختارها المكتب دون الرجوع إليك، هل تتذكر"؟

فارس محاولًا إخفاء حالة الدهشة وانعدام الوزن التي وصل إليها: "نعم، نعم، تذكرت الآن".

أغلق فارس الخط مع المحامي وأنهى المكالمة وهو يحس بحالة غير عادية من التيه وعدم التركيز، أخذ يسأل نفسه أين ليلى؟! أين من ألهمته التغيير؟! أين من شجعته على اتخاذ هذه الخطوة الجريئة؟! أين من دفعته لكل هذا التغيير الإيجابي في حياته؟!

أخذ ينظر إلى هاتفه ويبحث عن أي أثر لها في الرسائل التي أرسلها أو استقبلها فلم يجد، لم يجد اسم ليلى على الإطلاق في هاتفه، أوشك على الانهيار، سأل نفسه: "هل كان يعيش في وهم طوال هذه المدة؟ وما الذي حدث في ڤيينا؟ وما الذي كان يحدث طوال هذه المدة"؟

أخذ يتذكر اسم الفندق الذي أوصلها إليه في ڤيينا، تذكر التاريخ بدقة وبحث عن أرقام تليفوناته، ثم طلب من سكرتيرته في مصر أن تتصل بالفندق على أنها ليلى وتخبرهم أنها فقدت عقدًا ثمينًا وتبحث عنه.

وبعد ربع ساعة جاءه الرد من سكرتيرته: "لم تكن لديهم نزيلة بهذا الاسم في الفندق في هذا التاريخ، اعتذرت منهم وأخبرتهم أنني ربما أخطأت في اسم الفندق، إلا أنهم قالوا لي شيئًا عجيبًا".

obeikandl.com

فارس: "وما هو"؟

سكرتيرته: " في نحو السابعة أو الثامنة صباحًا في ذلك اليوم أو ربما بعده بيوم أو قبله بيوم، جاء رجل بدا من لهجته أنه شرقي وسأل بإلحاح عن ليلى أيضًا وعندما أخبرناه أنه لا يوجد لدينا نزيلة بهذا الاسم، استقل سيارة أجرة وجلس بداخلها قليلًا ثم انصرف، إنهم يتذكرون ذلك الموقف من كثرة إلحاح الشخص الذي سأل عن تلك السيدة غير الموجودة لدرجة أنهم كانوا على وشك الاتصال بالشرطة".

فارس: "شكرًا لك، سلام".

سكرتيرته: "سلام".

سأل فارس نفسه: "هل كنت أعيش حالة من الوهم؟! ألم تكن هناك ليلى؟! ألم تكن هناك رسائل على المحمول؟! ألم تكن هناك سيدة في ڤيينا"؟!

كاد عقله ينفجر مما يحدث، ثم تذكر أحد أصدقائه يعمل محللًا نفسيًا فاتصل به.

فارس: "كيف حالك يا صديقي"؟

صديقه: "أنا بخير، كيف حالك أنت"؟

obeikandl.com

فارس: "أنا بخير ولكني أريدك في استـشارة".

الصديق: "تفضل".

فارس: "سأتصـل بـك بعـد خمـس دقـائق في مكالمـة مرئيـة عـلى أحـد بـرامج التواصل الاجتماعي، فأنا الآن خارج مصـر".

الصديق: "حسنًا، لا يوجد مشكلة، سأنتظر مكالمتك".

وبعد خمس دقائق، اتصل فارس.

فارس: "سأقص عليك ما يحدث معي منذ عدة أشهر، ولكـن أرجـو أن تكون صبورًا معي، وتـسمعني حتى النهاية".

صديقه: "تفضل، ولكنني سأطلب منك فقط شـيئين".

فارس: "وما هما"؟

صديقه: "الطلب الأول أن تحكي لي ما حدث بنفس التـسلسل الزمنـي ولكن لا تبدأ من النقطة التـي في رأسـك والتـي لا أعرفهـا، حـاول أن تبدأ قبلها بـشهر أو اثنين واحكِ لي مشاعرك وأفكارك وقتهـا، والطلـب الثاني لا تهمل أي تفصـيلة أو جزئية مهما كانت صغيرة".

فارس: "حسنًا، سأحاول قدر استطاعتـي، ثم تنهد قليلًا قبل أن يبدأ".

فارس: "لقد سافرت إلى ڤيينا للسياحة منذ عدة أشهر، وقبل تلك الرحلة بفترة كنت أحس أن حياتي تسير بدون هدف وبدون غاية وبدون غرض، لم أكن أعرف ما هو مطلوب مني في هذه الدنيا، لم أكن أفهم معنى كلمة تحقيق الذات أو حتى البحث عن الذات! كانت أيامي متشابهة، كلها تشبه بعضها بلا طعم أو لون، كنت أحس أنني أسير في مسار ضيق غير مسموح لي بالخروج عنه، كنت أحس أنني في قفص قضبانه غير مرئية، كنت أحس أن حياتي شديدة المحدودية، وطموحاتي منخفضة السقف للغاية فضلًا عن كونها مشتتة بدون اتجاه واضح وأيضًا مقتبسة من الآخرين وغير نابعة من ذاتي، كان وضعًا غريبًا، كنت أحس أن شيئًا ما خطأ ولكنني لم أكن أعرف ماذا أفعل".

صديقه: "ثم ماذا"؟!

فارس: "ثم قررت أن أسافر إلى مكان جديد بالنسبة لي، كانت محاولة يائسة للخروج مما أنا فيه".

صديقه: "جيد، أكمل من فضلك".

ثم قص فارس على صديقه المحلل النفسي كل ما حدث معه منذ وطئت قدماه أرض ڤيينا وحتى الآن، أخذ يقص ما حدث بالتفصيل، حاول أن يتذكر كل حدث وكل تفصيلة وكل فكرة وكل

إحساس، لم يكن صديقه يقاطعه إلا نادرًا، فقط ليستوضح نقطة غامضة أو يطلب منه تذكُّر أحاسيسه ومشاعره في موقف ما.

وبعد نحو ساعتين، كان فارس قد انتهى من سرد كل ما حدث معه ثم نظر إلى صديقه عبر الكاميرا وسأله: "هل لديك تفسير لما حدث"؟

صديقه: "نعم، التفسير واضح".

فارس: "وما هو"؟!

صديقه: "لا يوجد ليلى يا فارس، إنها شخصية اختلقها عقلك الباطن ليساعدك في إيجاد طريقك في هذه الدنيا".

فارس: "ماذا تقصد"؟

صديقه: "إن العقل الباطن للإنسان يعرف عنه كل شيء، وهناك أبحاث واجتهادات تقول إن بداخل ذلك العقل الباطن وفي أعمق طبقاته توجد كل أسرارك وقدراتك بل وربما أقدارك أيضًا! من الواضح أن عقلك الباطن كان قد وصل إلى قناعة بأن الحياة التي تعيشها لا تتناسب مع قدراتك التي يعرفها هو جيدًا ولا تتناسب مع غرضك في الحياة والذي ربما هو يعرفه أيضًا، وبالتالي فقد اختلق لك ليلى،

obeikandl.com

لتساعدك على تحرير قدراتك ومعرفة غرضك في هذه الدنيا وتحقيق أهدافك".

فارس: "ولكنها لم تكن شخصًا وهميّا، لقد كان لها زوج وولد وبنت".

صديقه: "يا فارس، ليلى كانت تمثل الصورة الأنثوية المقابلة لك".

فارس: "ماذا تقصد"؟

صديقه: "مشكلة ليلى نفس مشكلتك ولكن بطريقة أنثوية، فمشكلتك كانت الطاعة وكذلك كانت مشكلتها، ولكن عقلك الباطن جعلها تظهر بطريقة مختلفة مناسبة لطبيعتها كأنثى، وتحررك من الطاعة لكل ما هو سائد تمثَّل في مواجهتك لوالديك مثلما تمثَّل في مواجهتها كأنثى لزوجها ونزعها للحجاب المفروض عليها من مجتمعها الصغير والكبير".

فارس: "وأولادها"؟!

صديقه: "خيالك هو الذي جعل ابنتها هي الأمل الذي يساعدها ويساعدك في التطلع نحو المستقبل، في حين كان ابنها هو نموذج آخر - ولكن بشكل مصغر - للسلطة المطبقة عليها وعليك والذي يماثل في تفكيره زوجها ووالديك والمجتمع بشكل عام، وطريقة تعاملها معه وهي ذلك التعامل الهادئ والترويض التدريجي وهي الطريقة التي

فضلت اتباعها في التعامل مع السلطة بأشكالها من حولك عندما بدأت التغيير مؤخراً".

فارس: "ولكنها كانت تقص عليّ أموراً وتفاصيل كثيرة مثل دراساتها وانتقالها إلى لندن وزواجها".

صديقه: "دراساتها هي نفس دراساتك، وانتقالها إلى لندن هو حلم حياتك الذي كنت تحلم به منذ طفولتك، والمرحلة العمرية التي انتقلت فيها إلى لندن هي نفس المرحلة العمرية التي كنت تتمنى أنت أن تنتقل فيها إلى لندن، وزواجها يمثل القفص الذي عاشت هي فيه وعشت أنت فيه أيضًا منذ تجاهلت أحلامك واستسلمت للدنيا وحتى خروجها منه بطلاقها؛ أي حتى خروجك أنت منه وتحقيق حلمك ومعرفة غرضك، أما حالة الملل والضجر التي وَصَلَت إليها بعد كل تلك السنوات من الزواج فهي صورة بالمرآة للحالة التي وَصَلْتَ إليها في حياتك بعد أن سجنت أحلامك وعشت في قفص من الممنوعات والمحرمات والإحساس بالاستسلام وضعف القدرات".

استمع فارس لما يقوله صديقه حتى وصل إلى حالة من الذهول، ظل صامتًا عدة دقائق ثم سأل صديقه: "ولكنني اعتدتها في حياتي، ربما تقول عني أنني مجنون ولكنني بالفعل اعتدت على وجودها".

صديقه: "كلٌّ منا يحتاج إلى ليلى في حياته يا فارس، كلٌّ منا يحتاج إلى ملهِم، كلٌّ منا يحتاج إلى مرشد، كلٌّ منا يحتاج إلى حافز، بل وكلٌّ منا يحتاج شخصًا يقف هو بجانبه ويساعده مثلما كنت أنت تقف بجانب ليلى وتساعدها في روايتك التي اختلقها عقلك، كل هذا طبيعي".

فارس باندهاش: "طبيعي! هل ما أمرّ أنا به يُعتبر طبيعيًا"؟!

صديقه: "بطريقة أو بأخرى نعم؛ كلٌّ منا بحاجة إلى كل ما سبق كما قلت لك، ما حدث معك أن حياتك كانت فارغة تمامًا، بلا أهداف، بلا أغراض، وبلا ملهِم حقيقي أو مرشد تقتنع به، بلا أصدقاء، وبلا شخص تساعده؛ وبناءً عليه قام عقلك الباطن بتكثيف كل ذلك واختلاق شخصية بها كل تلك الصفات مجتمعة".

ثم أخذ نفسًا قبل أن يكمل.

صديقه: "أما الآن فالوضع مختلف، حياتك بدأت تأخذ شكلًا طبيعيًا، أصبح لديك غرض وأهداف تنبع من داخلك، بدأت تتحرر من القيود التي فُرضت بالتدريج على عقلك، بدأت تخطط وتحقق أهدافك، لم يعد عقلك بحاجة إلى ليلى بعد أن وضعتك على أول الطريق الصحيح، تستطيع الآن أن تتابع حياتك بشكل طبيعي يا فارس".

فارس: "ولكن... لا أعرف... لا أدري..."

صديقه: "ليلى التـي اختلقها عقلك الباطن واعتدت أنت عليها لم تكن يومًا موجودة يا فارس، ولكنك الآن أصبحت موجـودًا، وأصـبح حلمـك موجـودًا، وأصـبحت أهـدافك موجـودة، وأصـبحت حياتـك نفسـها موجودة، عش حياتك من قلبك وبكامـل أحاسيـسك وجوارحـك وأنـا على ثقة بأنك ستجد ليلى أخـرى حقيقية وليـست مـن وحـي خيالـك، ستجد ليلى حقيقية من بنات الحياة وليـست من بنات أفكارك".

شكر فارس صديقه وأنهيا المكالمة.

لم ينم فارس تلك الليلـة، أخـذ يفكـر في كـل مـا حـدث معـه ليـس فقط في الأشهر القليلة الماضية ولكـن في حياتـه كلهـا، ثـم أخـذ يُمعن التفكير في كل كلمة قالها له صديقه.

ومـع شـروق الشـمس، أمسـك فـارس ورقـة وقلـمًا كعادتـه القديمة عندما يريد التخطـيط لشـيء مـا، ثـم بـدأ يتخيـل حياتـه في السنوات العشـر القادمة، أخذ يكتب على تلـك الورقـة أهدافـه التـي يريد تحقيقها خلال تلك السنوات، ثم أخذ يجزِّئ كل هـدف كبـير إلى مجموعة من الأهداف والخطوات الأصغر.

استمر هكذا نحو ساعتـين، وجد أنه قد كتـب مـا يقـرب مـن خمسة أوراق مليئة بالأهـداف والطموحـات، ابتـسم قلـيلًا، نظـر إلى الورقة الأولى مرة أخـرى، تـراءى له أنه يرى وجه ليلى متلألئًا كـما رآه أول مرة تلك الليلة في ڤيينا، ثم قـال في نفسـه: "ربمـا يكـون صـديقي

المحلل النفسي قد أخطأ عندما قال إن ليلى لم تكن يومًا موجودة؛ إن ليلى موجودة دائمًا حينما يوجد الأمل والطموح، إن ليلى موجودة دائمًا لتأخذ بيدي نحو الفرح والسعادة. إنني أستطيع أن أرى وجه ليلى المتلألئ عندما أنظر إلى الغد بعين كلها تفاؤل وحماس. إن ليلى موجودة دائمًا حينما توجد الحياة بمعناها الحقيقي".

opeikandl.com

"لا تسجن معرفتك وبادل كتبك".

القراءة هي الحياة؛ فنحن نقرأ لنتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قربٍ على عوالم قد لا نعرف عنها شيئًا؛ لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يديك وحدك، فمن خلاله قد تكون استمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل على من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب
"نحن نحترم الكتاب".

obeikandl.com

obeikandl.com

إصدارات موقع دار الكتب:

1. إيـران: الخمـينـي شـرطـي الغـرب
2. رياح القبور
3. ومـضات
4. قـصائد فـي عـشق النـساء
5. الفوضـى العالمـية من العـصور الامبـراطورية للتنظـيمات الـسـرية
6. الذين أوتوا الحب
7. كلام لن يفهمه غـيـرك
8. فـيـرجـينـيا سـيكـريت
9. ومـضات من الماضـي
10. حوار مع النفـس
11. كارمن
12. ومـضات من الماضـي
13. رياح القبور
14. من أجل الدفء
15. الفـرنـسـيون والـشـرق
16. اغتـيال رفـيق الحـريـري
17. البحـر المـيت وكفة بـرج المـيـزان
18. العمـر لحظات
19. ومـضات

obeikandi.com

20. آية الله الخميني بين الثورة والطغيان
21. قبل أن أموت
22. فتاة شرقية
23. كاتيا
24. شمس
25. التعلم النشط
26. نبضات مغترب
27. رأيت الشيطان
28. حل قضية الجبر والاختيار وقضايا أخرى
29. لوزة قطن
30. حياة وحنين
31. رحيق العمر
32. عواطف
33. الوهم
34. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
35. تاريخ مصر الفرعونية
36. ديوان البت سعاد
37. الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي
38. الموعد
39. إذا لم تزد على الحياة شيئًا كنت أنت زائدًا عليها
40. عائدون من بين الأنقاض

obeikandl.com

41. حذاء جديد
42. حلقات مفرغة
43. يوميات طبيب في وطن مسلوب
44. أصحاب الكرش
45. جئت ورحلت
46. شخصية مصر
47. ديور.. ابن الحرب
48. رجل مدخر
49. ليلة في الرنفة
50. استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك
51. يوميات مع نفسي
52. سلسلة القائد المتوازن
53. يوميات واحد فيس بوكاوي
54. نصف إنسان
55. أريد أن أكون زوجة ثانية

obeikandl.com